عبد التواب يوسف

اقرأ

دليل الآباء الأذكياء في تربية الأبناء

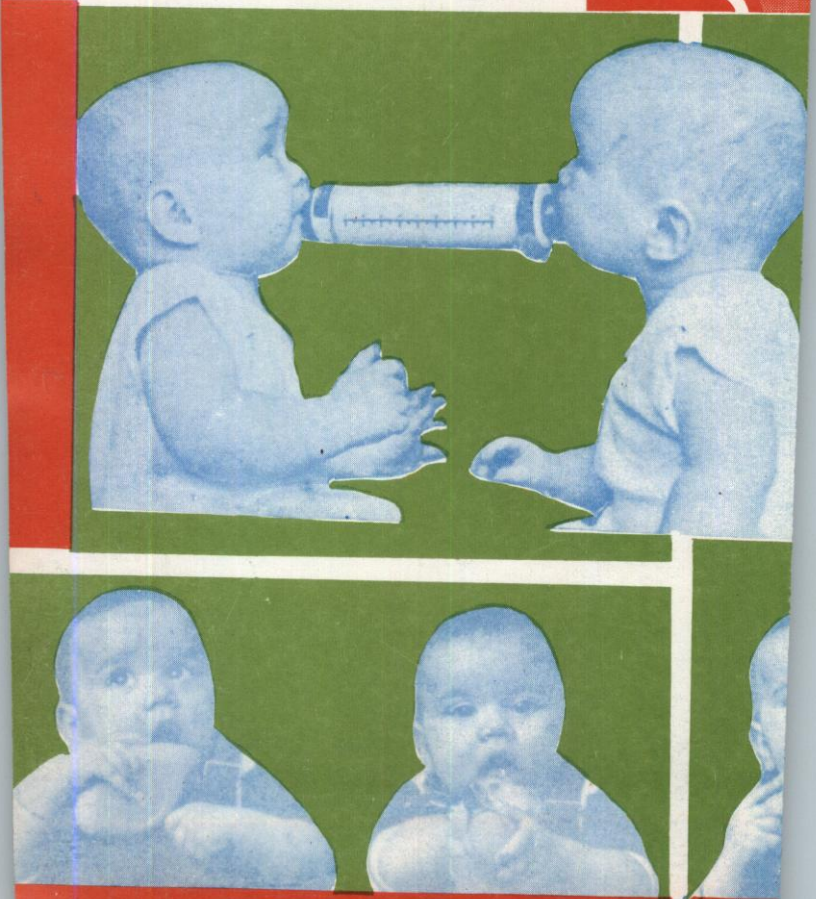

اقرأ
تصدر أول كل شهر
[٤٥٩] نوفمبر - ١٩٨٠

أنيس منصور

الليلة الكبيرة

عبد التواب يوسف

دليل الآباء الأذكياء لتربية الأبناء

دار المعارف

تصميم الغلاف : **شريفة أبو سيف**

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل القاهرة ج . م . ع .

أكبادنا

البيت . . . المدرسة . . المجتمع . .
أطراف ثلاثة ، هى المسئولة بالكامل عن أكبادنا . . وكل منها فى حاجة إلى كلمة ؛ فهى تتضافر من أجل هذا الإنسان الصغير الذى سوف يتلقف الراية ، ليحيا فى زمان غير زماننا ؛ من أجل هذا كان لا بد أن تقوم الدراسات حول دور كل من هذه الأطراف .

والدراسة التى نقدمها هنا تخدم الأطراف الثلاثة :

البيت : الذى لا نريده سجنا للأبناء ، كما لا نود أن يكون مهد تدليل لصغير ، فيشب غير سوى ، ولا متكامل !

المدرسة : التى غيرنا اللافتة التى تعلوها : من « ديوان المعارف » ، إلى « نظارة لعارف » ، إلى « وزارة المعارف العمومية » ، وأخيرا : « وزارة التربية والتعليم » لا ندرى هل مفهومنا لها قد تبدل مع هذه التغييرات ؟ إذ ما زالت قضية حشو هان أبنائنا بالمعرفة هى التى تشغلنا حتى اليوم !

والمجتمع : ترى ماذا يقدم لأبنائنا من خلال مؤسساته : اجتماعية ، علامية ، وثقافية ؟ هل يؤدى دوره الحق ؟

إن هذا الكتاب التربوى يستهدف الأسرة : أما وأبا ؛ والمدرسة : معلمة

ومعلما ؛ والمجتمع : مؤسسات وأفرادا ، لكى يستطيع الطفل أن يقول يوما ما :

أدبنى – أبى ومعلمى ومجتمعى – فأحسنوا تأديبى .

إن المعلمات والمعلمات لا يدخلون حجرة الدراسة وفى خطتهم إتعاس تلاميذهم ، والآباء والأمهات لا يصحون فى الصباح ولدى كل منهم خطة مسبقة لجعل حياة أطفالهم مملوءة بالأسى والحزن ! إن المعلمة أو الأم لم تستيقظ قط قائلة لنفسها :

– اليوم سأصرخ فى تلميذى وابنى كلما استطعت وسأضايقه بكل سبيل !

إن العكس هو الذى يحدث بالنسبة لنياتها الطيبة ، فهى قد تحدث نفسها :

– اليوم لا صراخ . . لا شجار ، لا حرب . . أريده يوما هادئا مع أبنائى وتلاميذى !

ومع ذلك تنشب الحرب ، وتجد المعلمة أو الأم نفسها تقول كلمات لم تكن تريد أن تقولها ، ولا تعنى ما تقوله ، وبصوت لم تتوقعه ، بل ربما لم تعهده فى نفسها . . وسؤال يطرح نفسه :

– لماذا تتناقض النيات الطيبات والتصرفات الغريبة فى هذا المجال ؟

لماذا لا تحقق أمنياتنا ؟ ولماذا يحدث عكسها ؟

إن المعلمات والمعلمين والأمهات والآباء يريدون لأبنائهم السعادة والأمان والاستقرار ، وليس هناك من يبغى أن يكون مخيفا بالنسبة لأولاده وبناته ، أيضا ليس هناك من يريد لهم أن يشبوا خوافين ، خجلين ، مضطربين ، غير أسوياء

غير أنهم فى واقع الأمر ينمون وهم يحملون بداخلهم أشياء وأعباء وعقدا ولا يكبرون وبين جنباتهم الحب ، والاحترام لأنفسهم وللآخرين ! ونجد أنفسنا أمام صورتين متناقضتين :

– نحن نريد أبناءنا مهذبين ، مؤدبين . .

● ونفاجأ بأنهم ليسو كذلك ، بل هم غير هذا وعكسه !

– نحن نود أن يشب أطفالنا على النظام .

● وإذا بنا أمام فوضويين مرعبين !

– إننا نبغى أن يكونوا أقوياء الشخصية واثقين من أنفسهم والناس .

● ولكنهم ضعاف الشخصية ، لا ثقة لهم فى أنفسهم والناس .

– إننا نتمنى أن يكونوا سعداء مبتهجين فرحين .

● ونراهم غير هذا . نراهم يحملون على كواهلهم أعباء العصر ومشاكله !

اللهم إلا بعضهم فى كل ما تقدم !

وبودنا أن نتفق مع المعلمين والوالدين على أهداف محددة نبغى ونريد ونسعى إلى تحقيقها فى أبنائنا وتلاميذنا ، وأن نتفق على وسائل بذاتها لتحقيق هذه الأهداف وتلك الغايات !

إن الأمهات والآباء يواجهون فى كل يوم ، وفى كل لحظة – مشاكل بعينها مصاعب بذاتها ، وليس فى استطاعتهم أن يذهبوا إلى « طبيب » متخصص فى تربية ، ليقول لهم أو ليكتب تذكرة دواء ، قد يرد فيها مثلا :

– أعطوا ابنكم ثلاث جرعات يومية من الحب !

– عليكم أن تبدوا الاهتمام بابنتكم ، هى فى حاجة إلى دفء عاطفى !

– خصصوا للأولاد مزيدا من وقتكم كل ست ساعات .

– لابد من إجراء عملية جراحية فى المسالك الشخصية !

ليس هناك – مع الأسف – أطباء فى هذا المجال الحيوى يلجأ إليهم المعلمون والمعلمات ، ليعرضوا عليهم حالات التلاميذ ، و « الحالات » لا تعرض على بب النفسى إلا حين يستفحل أمرها ، وتصبح مرضا عضويا أو نفسيا واضحا .

وفى الظروف العادية . فكلنا يعرف مدى تأثر الأبناء بالمعلمين وبالوالدين !

وقد أصبح الطفل مرآة أسرته ومدرسته .

- إذا كان الأب من اللون العصبى يتحدث ابنه بسرعة فائقة وبصوت مرتفع .

والطفل السلبى تدرك منه أن أباه فى البيت قد يكون طاغية ومستبدا وفرديا !

– وقد تنطوى فتاة على نفسها . وتدرك من ذلك ما يدور بين الأبوين من صراع !

– والكلمات التى ينطق بها الأبناء . والألفاظ : تستمد أصلا من الأسرة !

– إن الأسرة هى التربة التى يشب فيها الأبناء . وكذلك المدرسة . . وهناك تربة لا تنبت زرعا : قاحلة . . وتربة تصلح فيها الغابات . . وهكذا الأسرة . . ونقل الأشجار من تربة لأخرى ممكن . وتطعيمها ممكن أيضا . . وما نتحدث هنا إلا عن سُبل غرس الأشجار وتعهدها وتنميتها لتشب قوية ثابتة الجذور وارفة الظلال ! .

ولا شك أن الآباء فى حاجة إلى دراسة ، وفى حاجة إلى خبرة المتخصصين فى هذا المجال ، وقد نسمع يوما ما مثل هذا الحوار بين الأم أو الأب من جانب . وبين المتخصصين أو المعلم من جانب آخر :

– أنت تبالغين فى مراقبة ابنك والمحافظة عليه !

– إنه حياتى – أولادنا أكبادنا تمشى على الأرض ! .

– أوضحُ شبيه لك – يا سيدتى – أنك تبدين كسائق سيارة يريد أن يرقب « الموتور » أو الآلات وعملها خلال قيادته للسيارة ؛ لكى يطمئن إلى حسن سيرها : هل يستقيم هذا ؟

– إن هذا لا يمكن أن يحدث أو يستقيم !

– ولكنه يحدث معك بالنسبة لابنك !

وتذهل الأم للتشبيه : أتراقب (موتور) السيارة وهى تقودها ؟ ويفتح المتخصص عينيها على حقيقة مدهشة : إنها تتصرف فعلا بهذا الأسلوب ، ولكنها غير متنبهة له أو لخطورته ! . إنها بهذا قد تكون إنسانا مضطربة عاطفيا ، لكنها تثير اضطرابا اجتماعيا ! وهى تحتاج ولا شك إلى علاج ناجع لحالتها التى تتمثل فى رعاية مبالغ فيها ومرضية لطفلها !

وتتمثل فى عبارات كهذه :

– تعال أقيس لك الحرارة ! هل نمت نوما جيدا يا حبيبى ؟ كل هذا الطعام كله ، لا تقف فى تيار الهواء ، احذر من الوقوف على هذا الدرج خشية أن تسقط ، لا تستخدم السكين خوفا من أن تجرحك !

إنها تبالغ فى كل شىء ، حتى لتود أن يشب كما تود هى وتهوى ! وهى تريد أن تقوم عنه بكل شىء ، بل تتمنى لو أنها هضمت له طعامه !

والطفل هنا يكبر ، ولا ينمو ، فهو يعتمد على الأم فى كل شىء ، فلا يعرف غباته ومشاعره ، وتنقصه المهارات الاجتماعية الأولية ، إنها تفكر له ، فلا يجد رصة لكى يفكر بنفسه ، إنه لا يعرف ولا يتعرف إلى عالمه ، إنه لا يربط بين لأسباب والنتائج ، ويرضى بالحكايات الخيالية والتفاسير الأسطورية للحياة ! ما أشق ما يستطيع هؤلاء أن يخرجوا من إسار أمهاتهم . وأن يحرروا أنفسهم ذواتهم من سيطرتها !

وقد نسمع أيضاً حوارا من لون آخر بين أب أو أم من جانب ، وبين خصص من جانب آخر :

– أعرف أنك تحبين طفلك وتداعبينه .

– فعلا ، لوقت طويل !

– يؤسفنى أن أقول لك : إنك تعاملينه كلعبة أو دمية !

– ماذا ؟

– والواقع أنك فى حاجة إلى من يرعاك ! فى حاجة إلى أم تبحثين عندها عن الحنان والحب والدلال ! إن الطفل يشعر أنه لابد أن يحمى أمه ويرعاها ويسليها ويقلق من أجلها ، إذا كانت تؤدى دور الأم . . ولما كان ابنك غير قادر على تأدية هذه المهمة فإنه يظل شاعرا بالقلق والاضطراب !

إنه ينمو محروما من طفولته ، شاعرا بالإثم ، دائم اللوم لنفسه ! أيعقل يا سيدتى أن ترضى لطفلك هذا ؟

إن الطفل ليس دمية ولا تسلية ، بل هو حياة كاملة ، حياة خاصة : وهو ليس عجينة يشكلها المعلمون والآباء كيفما يشاءون . بل هو كيان وإنسان . وليس الآباء والمعلمون كل شىء فى الأمر ، إن للطفل شخصيته ثم المجتمع ، ثم القيم التربوية والأخلاقية التى تسود ، نحن فى حاجة ماسة إلى الدراسة والبحث ، وهذا يقودنا ولا شك إلى ضرورة معرفة النظريات التربوية وتطبيقاتها ، لكى ينمو الأبناء على أسس قويمة !

المدخل إلى الطفل

إدارة الحوار مع الطفل فن رائع ، له قواعده ومعانيه الخاصة . والأطفال ليسوا سذجا كما يتصور بعض ، وبالذات فى مجال اتصالهم بغيرهم ، وحوارهم معهم . إن أسئلتهم وإجاباتهم عن الأسئلة تحتاج منا إلى تحليل ودراسة سوف تكشفان عن (لغة) خاصة بالأطفال فى حوارهم مع الكبار .

سمعت طفلا يسأل :

الطفل : ما عدد الأطفال الذين بلا آباء فى الوطن العربى ؟

الأب : هذا سؤال مهم لأنه يدل على اهتمامك بقضايا الوطن والقضايا الاجتماعية .

الطفل : ما عدد هؤلاء الأطفال ؟

الأب : ثم هو اهتمام إنسانى كبير !

الطفل : وما عددهم فى بلدنا وفى العالم ؟ كل الذين فقدوا آباءهم و . .

الأب : سأحدثك عن هؤلاء فى إيجاز ، إن الأطفال . . .

ولم يكن هدف الطفل إنسانيا أو قوميا أو اجتماعيا فى سؤاله هذا ، بل كان خصيا ذاتيا ، إنه كان قلقا على نفسه يخاف أن يفقد والديه ، أو أباه بالذات .

لذلك طرح هذا السؤال بشكل غير مباشر.

وهناك طفلة زارت معرضا فنيا لكبار الفنانين ، وفاجأت أمها بسؤال محرج :

الطفلة : من رسم هذه الصور القبيحة يا أمى ؟

الأم : قبيحة ؟ من يقول هذا ؟

الطفلة : أنا أقوله ! هيا : إنها قبيحة فعلا !

الأم : ليس من اللائق أن تقولى هـذا عن أعمال فنية رائعة !

الطفلة : إنها ليست رائعة على الإطلاق !

الأم : تعالى أوضح لك مواطن الجمال فيها !

الطفلة : لا ، لا أريد !

إن الأم لم تدرك حقيقة ما تريده الطفلة بسؤالها ، وقد نجح أحد الموجودين فى الرد عليها ، فأخذها برقة من يدها ، وابتعد بها عن أمها ، وسار خطوات يشاهدان فيها (اللوحات) وهو يقول :

– ليس مطلوبا هنا أن يرسموا (لوحات) جميلة ، بل يستطيع الفنان أن يرسم (لوحة) قبيحة إذا أراد ، إنه يرسم ليؤثر فى الناس .

وابتسمت الطفلة واستراحت ، إنها ليست مطالبة بأن ترسم (لوحات) رائعة كهذه ، إن مهمتها مجرد أن ترسم حتى لو لم يكن رسمها جميلا .

لقد هاجمت (لوحات) المعرض وقالت : إنها قبيحة لأنها لا تستطيع أن ترسم مثلها ، إنها مثل الثعلب الذى لم تصل يداه إلى العنب فرآه مرا !

ودخل طفل مرة إلى متجر لعب . فوقعت أنظاره على لعبة مكسورة ، فسأل بغضب :

الطفل : من كسر هذه اللعبة ؟

الأم : أى شىء يعنيك فى هذا ؟

الطفل : لابد أن أعرف من كسرها . إنها غالية .

الأم : أنت لا تعرف أحدا هنا . ما جدوى سؤالك ؟

كان الصغير يسأل لا ليعرف اسم الذى كسر اللعبة . بل ليعرف ماذا حدث له : هل عوقب ؟ وبأى صورة ؟ والرد البسيط هو أن هذا متجر يجرب فيه الناس اللعب التى وجدت ليلعب بها الأطفال . ويحدث أحيانا أن تكسر بالقضاء والقدر . إن هذا الرد يجعل الطفل فى أعماقه يقول :

– إن هؤلاء الكبار – أناس ظراف ! إنهم لا يغضبون بسرعة لو أننى رسمت صورة غير جميلة . أو كسرت لعبة . إنهم متسامحون محبون للأطفال ، ليس من الضرورى أن أخافهم . بل إن الأمان يغمرنى والاطمئنان يسود حياتى بينهم !

– ولسنا نظن أن عالم هؤلاء « الشياطين » (الحبوبين) سيضم طفلا يقول نص هذه الكلمات . بل ندرك تماما السر وراء ابتسامة تغمر وجوههم أو نظرة تطل من عيونهم . ولقد دار حوار بين الطفلة التى شاهدت المعرض وبين أمها :

الطفلة : ابنة خالتى ستذهب لبيتها ؟

الأم : بالطبع .

الطفلة : وأبقى وحدى مرة أخرى ؟

الأم : ستجدين لك صديقة أخرى تلعبين معها !

الطفلة : إنى سأكون وحدى !

الأم : ثقى أنك قادرة على التغلب على وحدتك !

الطفلة : لا ، أبدا ، وتنفجر الطفلة باكية ، وتسخر منها الأم قائلة :

أنت تبكين كالأطفال الرضع !

كان هذا المشهد يمكن أن ينتهى نهاية حلوة : إن عواطف الأطفال يجب أن تثار ، بشكل جدى : فالأم ترى أن فراق ابنة الخالة أمر بسيط هين لا يستحق

دموعا ، ولا يستحق من جانب الأم أن تبدى فهما وإدراكا لهذا الذى يزعجها ؛ بينما كان يجب عليها فى واقع الأمر أن تنتبه للحدث ، وتؤكد أن الفراق لابنة خالتها مؤلم ، وأنها ستوحشها وأن البيت سيكون غير أنيس لهذا . وردود كهذه ستخفف من وقع الحدث بدلا من تحدى مشاعر ابنتها ، وتعييرها بأنها رضيع !

والأمهات والآباء يضيقون بالحوار والحديث مع الأطفال . ويرون أن بلا جدوى ولا نتيجة له !

الأم : إلى أين تذهب ؟

الطفل : إلى الخارج !

الأم : لماذا ؟ وأى شىء ستفعل ؟

الطفل : لا شىء !

والآباء والأمهات الذين يريدون أن يبدوا معقولين سرعان ما يكتشفون كم مرهق هذا ! وأنه يكلفهم شططا . حتى إن أما من الأمهات قالت :

— إننى أود أن أكون منطقية مع ابنى . ولا ينالنى إلا أن رأسى يصم بالصداع فى حين أنه لا يستمع إلىّ ! إنه لا يصغى إلا إذا صرخت . أو إذا راغبا فى الاستماع !

إن الأطفال فى واقع الأمر يقاومون الحوار مع آبائهم ، ويضيقون بالحد إليهم بالنصائح ولا يحبون النقد . وهم يعتقدون أن آباءهم يتكلمون كثيرا ، حتى واحدا منهم عمره ثمانى سنوات قال لأمه :

— إننى عندما أسألك سؤالا صغيرا لماذا تجيبين بكلام كثير ؟

وقد أضاف هذا الصغير إلى قوله هذا تصريحا لأصدقائه :

— إننى لا أقول شيئا لأمى ! إذا بدأت أتحدث معها فلن أجد وقتا كافيا ألعب !

والذى يتسمع لحوار يدور بين طفل وأبيه يذهله أن كلا منهما لا يسمع الآخر جيداً ، بل لا يعطيه أذنيه تماما ! إن كلا منهما يقول منولوجا خاصا به : من جانب الأب مجموعة من الانتقادات والتعليمات . ومن الجانب الآخر محاولة للإنكار ونفى التهم ! ومأساة مثل هذه الاتصالات لا تكمن فى أنه ينقصها الحب . بل ينقصها الاحترام ، ولا تكمن فى قلة الذكاء بل فى ندرة المهارة !

لذلك نحن فى حاجة إلى لغة جديدة للتخاطب بين الآباء والأبناء من أجل مزيد من التفاهم بين الطرفين ، وفى حاجة إلى مواصفات خاصة لنحوار الذى يدور بين طرفين يجب أن يكونا أكثر اتصالا . أكثر أخذا ورد . أكثر عطاء وجانبين !

الحوار مع الطفل

حذرنا المعلمين والآباء من مراقبة أبنائهم ووضعهم فى قوالب جامدة . وطالبنا بأن يدور بين الطرفين حوار بناء تمر كلماته عبر العقل قبل أن تقفز على الألسنة . ونواصل الحديث هنا عن الحوار مع الطفل .

أكبادنا : يجب أن تكون وسائل الاتصال بيننا وبينهم أوثق وأفضل مما هو الآن ، والحوار معهم يتطلب الاحترام والمهارة من الطرفين ، ذلك وحده الذى يقود إلى التفاهم وإلى خلق ثمرة حقيقية لما يدور بينهما . والوصول إلى نتيجة محددة . وذلك أجدى وأفضل من فيض النصائح والتعاليم والفرمانات السلطوية التى تصدر من الأعلى !

لقد عاد طفل يبكى بحرارة لأن رحلة المدرسة ألغيت بسبب المطر ، وقررت الأم أن تتناول الأمر بطريقة مختلفة . إنها فى كل مرة تقول واحدة من العبارات :

— لا داعى للبكاء على رحلة . هناك رحلات قادمة على الطريق . ولا تظن أنى لست السبب فى المطر . فلا تغضب منى !

لقد قالت الأم فى نفسها هذه المرة كلمات جديدة . قالت لنفسها :

-- إن ابنى يتأثر كثيرا بسبب إلغاء الرحلات ، إنه يشعر بأسى وضيق . لماذا لا أحاول أن أشاركه فى ذلك ؟ قد أستطيع بذلك أن أساعده على التغلب على مشاعره هذه !

– يا عزيزى ، يبدو أنك حزين .

– طبعا .

– كنت ترغب كثيرا فى الذهاب إلى الرحلة .

– فعلا

– أعددت كل شىء ، ثم أمطرت السماء بشكل تعذر معه الذهاب !

– هذا هو بالضبط ما حدث . شىء مؤسف . لكن . . لكن . . لكن . . . .

– سوف تأتى رحلات كثيرة فيما بعد .

وينطق الطفل بالعبارة الأخيرة بلا أسف ، وقد كان يبدو أن غضبه يتبخر ، وكان متعاونا ورقيقا وظريفا بقية اليوم ، وكان المعتاد غير ذلك حين يعود من المدرسة غاضبا ، وكان يسبب الكثير من المضايقات لكل أفراد الأسرة ، ولا يسود السلام والوئام إلا حين ينام .

والواقع أن الطفل حين يكون فى قمة الانفعال لا يستمع إلى أحد ، لا يقبل النصيحة أو النقد أو الترضية ، وهو يريد أن نعرف ما يدور فى نفسه فى هذه اللحظة بالذات دون أن يكشف لنا هو عنه ، إنه يعطينا مؤشرات ، وعلينا أن نفهم وندرك الباقى ونستنتجه ! وإذا ما قال لنا الطفل مثلا :

– معلمتى ضربتنى .

فعلينا ألا نسأله أى تفاصيل أخرى أو إضافات ، ولا نحتاج أيضا إلى مساءلة

عن السر فى أنها ضربته ، لقد تعودنا دائما أن نسمع من الأمهات فى هذه اللحظة :

– لابد أنك تستحق الضرب ! ماذا فعلت لتضربك مدرستك ؟

بل يجب على الأم أن تجامله وتقول له بهدوء مشوب بالحزن :

– إنى آسفة لأن أسمع ذلك !

من الواجب أن يدرك أننا ندرك آلامه ، وحرج موقفه . ومشاعر الغضب والانتقام التى تتفجر بها نفسه . ولا شك أن تساؤلا يدور فى النفس حول أحاسيسه ، إن علينا أن نطلع إليه ونرقبه باهتمام ونسمعه فى إصغاء كامل . ونعتمد بعد ذلك على خبراتنا معه . ويجدر بنا أن يكون تعليقنا واحدا من هذه العبارات :

– لابد أنك شعرت بالحرج وغضبت لما حدث . لاشك أنك ضقت بالمعلمة فى هذه اللحظة . إنه يوم سخيف أتصور أنه جرح مشاعرك !

إن مشاعر الطفل وانفعالاته القوية لا تزول حينما نقول له عبارة كهذه :

– ماكان يجب أن يكون هذا هو شعورك ، لم يكن هناك مبرر لهذه الأحاسيس !

إنها لا تنتهى بعبارة وكلمة ، بل تنتهى حدتها عندما يتقبلها المستمع فى تعاطف وتفهم كاملين . وهذا ينطبق على الكبار والصغار أيضا : لو أن زوجة بكى طفلها ودق جرس التليفون وانسكب اللبن الذى تغليه ، وغضب الزوج وقال عبارة قاسية عن سوء إدارتها للبيت : فهل تتقبلها الزوجة ؟ ماذا لو أنه قال :

الأب : إنه لصباح مزعج بالنسبة لك !

الأم : حقا ، وشكرا لأنك لا تغضب بما يحدث ، لأنه خارج عن إرادتى !

إن الزوجة لم تنتقد من جانب زوجها ، لأن اللبن انسكب فالتقطت أنفاسها ! إن زوجها معها وليس عليها ، لو أنه قال لها مثلا :

الأب : دعينى أعلى اللبن وأعد الإفطار ما دمت غير قادرة على ذلك .
إنه بهذا يشعرها بعجزها ، وهذا شيء سخيف !

وعندما نطبق هذا على الأطفال نجد أنفسنا نرتكب أخطاء كثيرة : قد تقول الأم :

–إنك كبرت إلى درجة تستطيع معها الاعتماد على نفسك .

– تعال يا عزيزى أعلمك كيف يمكنك أن تفعل هذا الشيء .

وتقول الأم أحيانا : أنت لا تصلح لشيء ! وكم يكره الطفل هذه العبارة وصاحبها ، بل إن صاحبة العبارة لا تحبها ولا تحب نفسها حين تقولها ! وموضوع اللبن الذى انسكب درس نتعلم منه ما نستطيع أن نقوله لطفلنا ، ولكى نجلب له الارتياح :

الأم : إنى أفهمك يا عزيزى ولا ألومك أبدا .

الأب : إنك وحدك القادر على أن تؤدى هذا الأمر بشكل أفضل فى مرة مقبلة .

الكلمات هنا : إما أن تسعد سامعها . أو تمزقه ! إن استجاباتنا للكلمات والمشاعر هى التى تقرر جو بيوتنا : أهو الهدوء والحب أم الشجار والكراهية ؟

وكلمات الحوار مع أطفالنا تحتاج منا إلى دراسة متأنية لشروط وقوانين يجب أن نطبقها ؛ لكى يكون الحوار ناجحا ومستمرا ومحققا لأهدافه . وأولى هذه الشروط أننا إذا سألنا طفلُنا عن حدث بذاته فعلينا أن نجيب ولا نروى الحدث ، بل نحكيه بشكل يتصل بطفلنا الذى يقول :

– إنى لا آخذ مصروفا ولا أتلقى هدايا مثل شقيقتى ! هذا ظلم !

والأم هنا يجب ألا تستنكر الشكوى ، أو تنكر أنها صادقة ويجب ألا تشرح للصغير أن شقيقته كبيرة ، أكبر منه وتحتاج لأشياء أكثر ، وأيضا يجب ألا تعد

بالمساواة بينهما فى المصروف والهدايا ! إن الأم قد تضع ردها فى كلمات كهذه :

– أنت على يقين من أنى أحبك مثلما أحبها تماما .

ولم تضف الأم عبارة أخرى ؛ فإن الطفل ابتسم فى مرح وفرح وانتهى الحوار عند هذا بلا امتداد وعندما يروى الطفل حادثة يجب ألا نتجاوب معها ، بل نتجاوب مع مشاعره تجاهها ، مثلا :

الطفل : زميلتى وقعت اليوم من على درجات السلم ، دفعوها فسقطت .

الأم : لابد أنك تألمت كثيرا لهذا ، وتضايقت ممن فعل هذا معها !

الطفل : (بفرح) فعلا .

ولو أن الأم قالت : إن طفلها يخاف أن يتكرر هذا معه لتحداهم أن يفعلوا ، ولقال : إنه كان سيلقى بهم من حالق ! ويضحك للصورة الانتقامية ، وينتهى الحوار بالارتياح دون تفاصيل مؤلمة ومؤذية لحادثة قد تكون كبيرة الأثر . وهذا أفضل ، لأن فى تأكيد الحقائق وتوضيح الظروف مجالا لتفريعات عدة نحن فى غنى عنها ، إن الطفل يعود بشكاوى كثيرة .

– معلمتى أساءت إلىّ ، وقالت إنى غير صادق !

– لاشك أنك تألمت لهذا ؛ إذ لابد أنك أحرجت أمام زملائك وبينك وبين نفسك لم تكن راضيا عنها .

– فعلا ، كيف عرفت يا أمى ؟

– كلنا كان يحدث معنا هذا فى طفولتنا . .

ويستريح الطرفان ، الابن والأم بدلا من تبادل التشاكى والتباكى ، وبدلا من حكايات طويلة ممتدة يكون تعليق الأم عليها مثيرا للانفعال للصغير ، الأمر الذى يجعله متعصبا لرأيه ولموقفه . ولقد ربطنا بين الحدث وعلاقته بالصغير والحدث ومشاعره ، وتبقى شروط ومواصفات للحوار مع الطفل .

فن إدارة الحوار

نستكمل هنا الحديث عن « الحوار مع الطفل » بعد أن قدمنا لقضية الطفولة وعلاقتها بالبيئة والمدرسة والمجتمع ، وعرضنا للحوار مع الصغار على أنه أروع وسائل الاتصال بهم ، وإذا ما استكمل هذا الحوار شروطه أصبح فى مقدورنا أن نفيد منه فى بناء شخصية أبنائنا .

* * *

أكبادنا : إذا ما سألونا عن حادثة ما فعلينا أن نجيبهم بروايتها من زاوية هتمامهم بها ، وإذا ما رووا حادثا فعلينا أن نشاركهم فى مشاعرهم تجاهها ، أما إذا كر الطفل عبارة ما عن نفسه فلابد من الاستجابة لها لا بالموافقة : مجرد الموافقة ، بتعقيب فيه تفاصيل تقنع الطفل بتفهمنا للأمر بشكل يفوق توقعه : فإذا ما قال مل :

– أنا لست متفوقا فى الحساب

– فعلا : إنك تخطئ كثيرا فى العمليات الحسابية .

– لأنى لا أحبه .

– ستحبه إذا استذكرته بشكل دائم ومستمر و . . !

النصيحة رخيصة . ولا يفيد الطفل كثيرا أن نوافقه على حقيقة ما قالها عن ه بهذه الصورة ، والواجب أن يدور الحوار بيننا وبينه كما يلى :

– أنا لست متفوقا فى « الحساب » .

– الحساب ليس مادة سهلة على كل حال .

– فعلا : كثير من مسائل الحساب معقدة وصعبة الحل .

- لابد أن حصة الحساب ضويلة بالنسبة لك .

– ما إن تنتهى حتى أتنفس الصعداء !

ولا شك أنك قلق : ماذا ينتظرك فى امتحان الحساب ؟

طبعا .

- إننا نثق فى ذكائك ، ونعتمد على قدرتك فلتكن عند حسن ظننا فيك !

على هذه الشاكلة يجب أن يدور الحوار . وإذا عاد هذا الطفل بتقرير المدرسة الفترى إلى أمه ، وناقشته بهذا الأسلوب فسيعقب على ذلك بقوله :

سوف أستميت لكى أحقق ثقة أمى وأبى فىّ !

وربما يدور حوار من لون آخر بين طفل وأبيه حول درجة ذكاء الصغير ، وهذا الحوار التالى بين طفل وأبيه يحتاج منا إلى يقظة كاملة لنستوعب أبعاده :

الطفل : إنى غبى

الأب : لا ، لست غبيا !

الطفل : بل أنا غبى

الأب : أبدا ، هذا غير صحيح ! عندما كنت فى النادى كان المشرف يقول : إنك من أذكى الأطفال .

الطفل : ولكنه قال لى أكثر من مرة . إنى غبى .

الأب : كان يداعبك !

الطفل : وماذا عن درجاتى فى دروسى ؟ إنها تؤكد غبائى !

الأب : لا ، إنها تطالب بمزيد من الجهد والدرس والتحصيل

الطفل : لقد بذلت كل ما فى وسعى ، ولكننى كما قلت لك : غبى

الأب : (بصوت مرتفع) لا ، لست غبيا

الطفل : بل أنا غبى !

الأب : قلت لك : أنت لست غبيا ، يا غبى !

إن أطفالنا حين يعلن الواحد منهم أنه غبى ، أو قبيح أو فاشل ، أو شىء من هذا القبيل – فإن أى كلام من جانبنا لن يغير من وجهة نظره فى نفسه على الفور ، بل هو يقاوم بحدة أى محاولة مباشرة ؛ لكى يبدل من رأيه ؛ بل إن هذه المحاولة قد تزيده تمسكا بما يراه فى نفسه على أساس أنه أدرى بها ! ولو أن طفلنا الذى سمعناه يصف نفسه بالغباء دار بين أبيه وبينه حوار من لون آخر :

الطفل : أنا غبى

الأب : (بجدية شديدة) هل أنت مقتنع فعلا بهذا ؟ هل أنت – بصدق – لا ترى نفسك ذكيا ؟

الطفل : لست بذكى على الإطلاق !

الأب : إذن لابد أنك تعانى فى داخلك من الكثير .

الطفل : فعلا .

الأب : لابد أنك فى المدرسة تخاف أموراً كثيرة : تخاف الامتحان والرسوب و . . لابد أنك ترتبك حين يستدعيك المعلم لتجيب عن سؤال . وربما تعرف الإجابة ، وإذا بالارتباك يجعلك لا تحسن الإجابة ، وتتصور أن المعلم يتقدك بقسوة ، وأن الأولاد يضحكون ؛ لذلك تفكر كثيرا فى ألا تقول شيئا ! وهذا يجعلك تتصور نفسك غبيا ! أما فيما أرى فإنى أخالفك فى وجهة نظرك !

مثل هذا الحوار لا يغير من وجهة نظر الطفل فى نفسه ، ولكنه يزرع فيه بذرة ، فيما يتصوره وقد يقول فى نفسه :

– إذا كان أبى يرانى غير غبى فربما كنت فعلا كما يرانى .

مثل هذا الحوار فيه الكثير من التعاطف . وقد يدفع الطفل إلى أن يرتفع ليصبح

محل الثقة من أبويه وموضعها : فإذا ما قال طفل – أنا لاحظ لى – يجب ألا نناقش ونعترض ونشرح لنغير من وجهة نظره ؛ لأن كل حكاية عن الحظ الحسن ستقابل بحكايتين من جانبه ، ولكن علينا أن نؤكد له أننا نقدر مشاعره التى تدفع به إلى مثل هذا الاعتقاد :

الطفل : أنا سيئ الطالع جدا !

الأب : إذن كلما لعبت مباراة فعلا قلت لنفسك : « سأهزم ، لأنه لاحظ لى ! » .

الطفل : فعلا هذا ما أقوله لنفسى .

الأب : وفى المدرسة إذا كنت مستذكرا دروسك تقول لنفسك : « لن يسألنى معلمى ! » .

الطفل : بالضبط هذا هو ما يحدث .

الأب : وإذا لم تستذكر يسألك معلمك !

الطفل : فعلا

الأب : إننى أرجو أن أسمع منك أمثلة أخرى على سوء الطالع ؛ لأنى مع بفهم ما تراه سوء طالعك ، وفى كل مرة يحدث معك شىء احـ لى ودعنا نناقشه لنعرف : هل كان نتيجة حقيقية لسوء الطا أو لا ؟

ويستمع الأب باهتمام إلى الحكايات ، ولا نتصور أن الحوار سيغير من وـ نظر الابن الطفل ، لكنه قد يقنعه بأنه محظوظ أن يجد أبا يجرى معه ، هذا الحوار ! إذ إن الأطفال لديهم إحساسان متباينان تجاهنا آباء ومعلمين ، و الذين لهم سلطة عليهم ، إنهم يحبونهم ويضيقون بهم ! وليس هذا انفصاما الشخصية ، لكنه طبيعى من الطفل تجاه أفراد أسرته . وحتى نتفادى من الص

مع أنفسنا يجب أن يدرك الأطفال أن هذا طبيعى ، ولسوف يضطرب الطفل لو أنه علم منا أن لديه مشاعر متضاربة . قد تقول له الأم :

الأم : واضح أنك تحب مدرستك ولا تحبها ! إنك دائما برأيين : تريد أن تذهب للرحلة ، وتريد أن تبقى بالبيت ! تريد ، وتريد . .

الطفل : لو فهمتنى ، ما تصورت أن لى رأيين لم أقرر أيهما أختار .

الأم : بل إنك متردد . أحيانا تحب صاحبك . وأحيانا تقاطعه !

وعلم النفس الحديث يقول : إن إعجابك بشخص يحمل معه مشاعر الحسد . . . وتمتزج عواطف الحب بالكراهية ، والإيذاء بالعدوان ، وهذا كله طبيعى ، ولكنهم علمونا أن العواطف السلبية سيئة ، مع أن كل أمر من أمور الحياة ن أن يكون خيرا وشرا فى الوقت نفسه ، وبالذات المعنويات . ومما لا شك فيه أن لك يؤثر تأثيرا سيئا فى الصحة العقلية والنفسية إذا ما حكم الإنسان عواطفه مع العواطف ميراثنا : السمكة تعوم ، والطائر يطير ، ونحن نحس ونشعر وأحيانا زج مشاعرنا ولا اختيار لنا فى قضية المشاعر : أيهما يبرز ؟ وما من شىء هنا أفضل الصدق ! يجب أن يعرف أطفالنا حقيقة مشاعرهم ، معرفة ذلك أجدى من فة الأسباب حتى لا يناقض نفسه ، ويجب أن نكون مرآة لأبنائنا فيروا عندنا طفهم ؛ وكما تنعكس صورته فى المرآة تنعكس صورة عواطفهم على مشاعرنا نوهنا وكلماتنا ، مرآة صادقة يجب أن نكون ، فتقول الأم لطفلها :

الأم : يبدو أنك غاضب جدا ! الظاهر أنك تكره كثيرا هذا الأمر ! هذه العبارات تفيد الصغير فى فهم وإدراك حقيقة مشاعره ؛ لأنها تعكس ة ما عنده ؛ كما تعكس المرآة صورته . على أننا لابد أن ندرك قيمة الحوار مع ، والحديث إليه : كل كلمة لها معناها وأثرها وتأثيرها ؛ وتبقى دائما أبدا على ة حياة الطفل ، تبقى أبدا !

امتداح الطفل

الحوار مع الطفل شكل من أشكال الفهم والتفاهم والحوار ليس سؤالا وجوابا فحسب ، بل يدور بين طرفين وقد يشكل صراعا ، وقد يكون إضافة كبيرة للطفل الذى نستهدف بناءه ؛ لكى يمضى على الطريق إنسانا سويا مكتملا ، ولكى يشب قادرا على مواجهة الحياة ، والآن نناقش قضية امتداح الأطفال والثناء عليهم :

* * *

أكبادنا : هل نمتدحهم ؟ هل نثنى عليهم ؟ إن الكثيرين يعتقدون أن المديح يبنى شخصية الطفل ، وأن الثناء يجعله آمنا مطمئنا ، غير أنه قد لوحظ أن المديح والثناء ينتج عنهما أثر عكسى ! لماذا ؟ ربما كانت القصة التى روتها واحدة من الأمهات خير ما يوضح السبب ، قالت هذه الأم :

--كنا فى عطلة نهاية الأسبوع ننطلق بسيارتنا إلى نزهة أسرتنا كلها . كان ابنى الأكبر يجلس فى المقعد الخلفى من السيارة فى صمت وهدوء : يفكر . ويتصرف كملك ، قلت لنفسى : إنه يستحق كلمة مديح وثناء ! التفت إليه وقلت له أنت ولد رائع . إننى فخورة بك . إنك تتصرف بشكل طيب جدا !

ولم تمر لحظة واحدة على كلماتى إلا « ومنفضدة السجائر » تنثر علينا الأعقاب والرماد حتى ماكاد أبوه يتبين الطريق ! ورحنا نسعل ، وبَدَوْنا فى السيارة كما نزلت علينا السماء ! وتمنيت فى هذه اللحظة لو أننى أستطيع أن أضربه بكل ما أستطيع من قوة ! وكان أكثر ما يضايقنى كلمات المديح التى أسبغتها عليه لحظات ! وكان أن خطر لى هذا السؤال :

– هل المديح ضار بالطفل ؟

– بعد أسابيع اعترف ابنى بالسر فيما فعله : لقد كان طيلة الوقت فى السيارة يفكر فى سبيل للتخلص من شقيقته الصغرى التى تجلس فى المقعد الأمامى بينى وبين أبيه ! وخطر له لو أن حادثا وقع بالضبط فى وسط السيارة لاستراح من شقيقته وبقى ثلاثتنا ! وفى اللحظة نفسها امتدحته على هدوئه وتفكيره العميق الذى لم أكن علم عنه شيئا ؛ وجعله المديح يشعر بالإثم . وقرر أن يثبت لنا أنه لا يستحقه ؛ فما كان منه إلا أن قذف بمنفضة السجائر على النحو الذى رويته !

هذه القصة وغيرها تؤكد أن للأطفال – من حين إلى حين – أفكارا هدامة ورغبات مدمرة وبالذات تجاه أفراد الأسرة . وعندما يقول الأب :

– أنت ولد لطيف ظريف !

يحس الطفل أنه ليس كذلك ، ولا يتقبل المديح ؛ لأن صورته عن نفسه مختلفة تماما ! إنه يرى فى نفسه شريرا صغيرا ؛ فمنذ لحظات تمنى لو أن فم أمه « سوستة » أو (زراير) يغلقه بها ! وطلب أن يقضى شقيقه الأيام التالية فى تشفى ! وكان يأمل لو كسرت ساق عمته حتى لا تذهب معه للرحلة بأوامرها ونواهيها ! وكلما امتُدح زاد فى سوء التصرفات ؛ حتى يظهر نفسه على حقيقتها ! والآباء دائما يقولون :

– إن امتداح الطفل على عمل من أعماله يقلبه على الفور إلى شيطان رجيم ! يصبح متوحشا ويأتى من الأخطاء ما لا قبل لنا باحتماله !

والسؤال الذى يطرح نفسه : هل امتداح الطفل والثناء عليه أصبح شيئا باليا ، ولا يا ، قديما ؟ الإجابة : لا ، أبدا ! المسألة : هى أن المديح مثل الدواء : يجب طى كيفما اتفق ، بل بحساب وبحساب دقيق ! هناك محظورات فى إعطاء ، : جرعة أكبر قد تكون قاتلة ، أيضا التوقيت . وهناك حسابات من اللون

نفسه بالنسبة للمديح ، إذ يجب أن يكون المديح مقصورا على شيء واحد ، هو : امتداح جهود الطفل وإنجازاته ، وليس شخصيته وصفاته : الأم تستطيع أن تقول :

– شكرا حبيبتى ، لقد أديت عملك كما يجب .

أما أن تصف الأم ابنتها بأنها رائعة وعظيمة وقائمة الصفات المعروفة – فهذا يفسد الأطفال ! كلمات المديح يجب أن تكون مرآة عاكسة لإنجازات وجهود بناءة وحقيقية ، وليست صورة ملونة زاهية الألوان عن شخصية الطفلة أو الطفل . وليس أفضل من أن نقدم صوراً للمديح الذى يستحقه صاحبه : قالت الأم لابنتها :

الأم : كان المطبخ – عقب حفل العشاء رهيبا ! ماكنت أصدق أن سيتم تنظيفه فى أقل من أسبوع !

الطفلة : لقد بذلت بعض المجهود . حاولت . .

الأم : كان جهدا ناجحا ومحاولة رائعة : المطبخ نظيف أنيق الآن ! شكرا لك . .

الطفلة : عفوا ماما . .

كانت ابتسامة الصغيرة عريضة ، وكانت سعيدة بما فعلت وأنجزت ، وأماء المطبخ يشهد بما قامت به ، وبما أدته ؛ ولذلك فالمديح مقابل لعمل ، والا تستحقه لقاء ما قدمت ! أماكلمات المديح التى يجب ألا تقال فمن بينها :

– أنت ولد رائع . .

– أنت فتاة بديعة . . عظيمة .

– أنت ممتازة . . فذة . .

– أنت إنسان متفوق على نفسك . .

هذه عبارات تهدد الطفل ، وتجعله قلقا ، فقد يشعر أنه ليس كما يوصف ، أو أنه لا يرتفع إلى هذا المستوى ، ولكى يتواءم هو ونفسه ويخفف عنها العبء يقدم فى أول فرصة على سلوك سيئ ردىء ؛ لذلك فإن المديح المباشر أشبه بضوء الشمس الساطع المباشر فى العينين : إنه مزعج ويسبب العمى ! ولا شك أنه من المحرج أن نصف شخصاً بأنه رائع وكريم ومتواضع وملائكى ! إنه يشعر بأن من الضرورى أن يستنكر على الأقل جانبا من هذه الصفات ، ويأبى أن يوصف بها ! فإنه لا يستطيع أن يقف ليقول :

– شكرا سيداتى سادتى ؛ إننى أقبل عن طيب خاطر وصفكم لى بأنى رائع . . لذلك هو مضطر لأن يتواضع وينفى عن نفسه بعض هذه الصفات ؛ فإنه لا يمكنه أن يقول لنفسه :

– فعلا . أنا رائع . قوى . كريم . متواضع . عظيم . . !

وهو لا ينفى المديح فحسب ، بل هو مضطر لأن يعيد النظر فى هؤلاء الذين امتدحوه .

لو أننى كنت كذلك بالنسبة لهم فلابد أنهم ليسوا أذكياء بدرجة كافية .

وعلى هذا فيجب ألا يوجه المديح والثناء إلا للأعمال والإنجازات ، لا للصفات الشخصية ، وذلك يعفينا من الحرج ؛ لأنه ثمرة جهد ونتيجة عمل . . وهذا مثل طيب للمديح :

الأب : كان من الصعب جدا علىّ نقل هذا المكتب الضخم

الطفل : لقد شاركت فى نقله (فى فخر)

الأب : إن ذلك يحتاج إلى قوى ضخمة

الطفل : أنا قوى . .

لقد لقى الأب مشقة فى نقل المكتب ، واعترف بذلك ، وأعطى بهذا الابن

فرصة ؛ ليثيه ويفخر بقوته . وكان من الممكن لو أنه حاول أن يمتدح ابنه أن يقول له :

الأب : أنت ولد قوى

الطفل : لا . . أبدًا . . هناك أولاد أقوى منى فى الفصل . .

إن الأب فى المثل الأول أشار إلى صعوبة العمل ، وكان الطفل هو الذى تنبه إلى قواه الذاتية ؛ أما امتداح الأب للابن فكان يجر إلى حوار طويل . . إن المديح له طرفان : كلماتنا وصداها عند الطفل . . كلماتنا يجب أن تمتدح جهد الطفل : عمله ، إنجازه ، معاونته ، ابتكاره . . إن كلماتنا يجب أن تكون محددة حتى ليستطيع الطفل أن يستنتج منها نتيجة حتمية واقعية عن شخصيته . . إن كلماتنا يجب أن تكون بساطا سحريا ، لا يسع الطفل نفسه أن يرسم فوقه صورة إيجابية عن نفسه . . فيها قدراته . . إنه يبنى نفسه من خلال كلماتنا التى تثنى عليه وتمتدحه . . فلا نقول له :

– أنت شاعر عظيم بالنسبة لسنك . .

بل نقول له ببساطة :

الأم : شعرك مس قلبى . .

الطفل : إنى سعيد ؛ لأنى استطعت أن أقول الشعر .

لقد اقتنع بشاعريته من خلال عبارة مديح وثناء بسيطة . . لا مبالغة فيها ولا إسراف . . ولا هى تقع من نفسه موقعا سيئا فيرد عليها بعمل سيئ ردىء يعيد لنفسه به التوازن . .

توجيه النقد للطفل

امتداح الأطفال والثناء عليهم ليس خيرا مطلقا ، كما أن انتقادهم وتوجيه نظرهم ليس أقوم السبل للإصلاح . . هذا الانتقاد هو موضوع حديثنا بعد أن ناقشنا قضية الحوار مع الأطفال ، وكيف نأخذ منه أقصى ما نستطيع ، ونفيد منه بقدر ما يمكننا .

أكبادنا : أحبابنا ليسوا ملائكة . . ولا هم شياطين . . والسؤال الذى يطرح نفسه فى مستهل هذا الموضوع الذى يدور حول انتقاداتنا للطفل . . السؤال هو . .

– متى يكون النقد للبناء ؟ ومتى يكون للهدم ؟

لدينا مقياس واضح ! . النقد البناء هو الذى يدعو الطفل إلى عمل يجب عليه أن يعمله مغفلين تماما الملاحظات السلبية الخاصة بشخصية الطفل ذاته . . إذا كانت هذه العبارة غير واضحة تماما فالأمثلة تكشفها لنا وتوضح أبعادها ! . إن طفلا عمره عشر سنوات سكب على المائدة كوب اللبن فى أثناء تناول الإفطار . . قالت له الأم :

– إنك كبرت إلى درجة تعرف فيها كيف تمسك بكوب اللبن ؟ . كم مرة قلت ك إنك يجب أن تكون يقظا ؟ . . حذرا ؟ .

وقال الأب : إنه لا يمكنه أن يكون كذلك . . إنه مهمل ، وسيظل مهملا . !

إن الابن سكب بضع قطرات من اللبن ، وربما الكوب بأكمله ، لكن ما حدث بعد ذلك يكلف أكثر بالنسبة لفقدانه الثقة فى نفسه . . وعندما تقع الأخطاء من الطفل ليس من المناسب تسليط الضوء على شخصيته وسلبياتها . . إذا وقع خطأ فعلينا بعلاج الخطأ ذاته فحسب ، وليس توجيه النقد – شاملا كاملا – إلى المخطئ . . وسؤال آخر يطرح نفسه هنا . .

– كيف نتصرف حين يخطئ الطفل ؟

لو أن أم الطفل الذى سكب اللبن على مائدة الإفطار صباحا قالت :

الأم : إنى أرى اللبن قد سقط على المائدة . . هذا كوب لبن آخر . . وهذه قطعة من القماش تنظف به اللبن المسكوب .

وتناول الأم ابنها قطعة القماش مع كوب اللبن الآخر – فلا شك أن الصغير يخجل ، لكنها تنتشله من الشعور بالإثم لما فعله ، وتعاتبه بالقماشة بمنتهى الرقة . . ولا شك أن رده عليها سيحمل شحنة كبيرة من الانفعال . . قد يقول وهو ينظف المائدة :

– شكرا ماما . .

وقد لا تضيف الأم كثيرا إلى ما قيل . . اللهم إلا عبارة قصيرة قد تكون :

– أود أن تكون أكثر يقظة مستقبلا .

ولكنها غالبا لن تقول هذه العبارة لأنها تحس بامتنان طفلها لما فعلت معه . .

إن الصراخ على كوب اللبن المسكوب من الممكن أن يفسد اليوم بأكمله . . والمنازعات والمشاحنات بين الوالدين والأطفال تنشب بين حين وآخر ، وبشكل منتظم . . ويتصرف الآباء بشكل مهين للصغار . . وقد يجيب الطفل بكلمة نابية

ن الذوق . . ويتصاعد الخلاف ، الأمر الذى قد يضطر الأب إلى استخدام ه . .والأمثلة كثيرة . . ذلك الطفل ابن التاسعة الذى كان يلعب بفنجانة فيرة !

– ستكسر هذه الفنجانة . . اتركها إنك دائما تكسر الأشياء !

– لا . . لن تنكسر . .

وتسقط الفنجانة لتنكسر فى اللحظة نفسها ، ونتذكر كيف ضرب جحا ابنه طلب إليه أن ينقل إناء من مكان إلى آخر . . وسأله الطفل :

– لماذا تضربنى ولم ينكسر الإناء ؟

ورد جحا : ماذا يجدينى ضربك إذا انكسر الإناء ؟

ا الأم صاحبة الفنجانة فراحت تصرخ وتولول وتشتم ابنها ، قائلة :

يا إلهى ! . ما أغباك ! إنك تكسر كل شىء فى البيت . !

لست وحدى الغبى . . أنت أيضا كسرت الزهرية أمس !

أنت ولد وقح . . تشتم أمك ؟

أنت التى قلت : إنى غبى . . فى البداية !

قم . . انصرف . . اذهب إلى غرفتك فورا !

. يرفض الطفل الذهاب إلى غرفته ، وتحس الأم أنه يتحداها ، وتفقد ، فتجذبه وتضربه فى غضب . . وقد يدافع عن نفسه ، ويدفعها فتصطدم ىء ما ! ربما قطع الفنجانة المكسورة ، وتجرح الأم وتحرج . وإذا بالدم ير ثائرتها ، فيجرى الطفل خارج البيت . . لاندرى : هل هناك سيارة ى هذه اللحظة أو لا ؟.. وربما بقى الطفل خارج البيت لوقت متأخر ! . البيت رأسا على عقب . . ولاتغمض لواحد من الأسرة جفن فى هذه

وهناك سؤال جديد لابد أن نسأله :

– هل كانت هذه المعركة ضرورية ولا يمكن التفادى منها . . أو أنه من الممكن لنا أن نتناول مثل هذه الأمور العابرة بشكل أعقل وأكثر رزانة ؟

كان فى استطاعة الأم من البداية إبعاد الفنجانة من يد طفلها . . وكان مقدورها بعد كسر الفنجانة أن تعاونه فى جمع أجزائها المكسورة وتوجهه إلى شىء آخر يلعب به غير الفنجانات . . مع تنبيهه إلى عدم اللعب بالأشياء التى الكسر . . لأن فى تدميرها خسارة كبيرة . . وقد يعتذر الطفل عن خطئه إذا غ الصراخ والعويل والضرب . والحق أن الأطفال يمكن أن يتعلموا دروسا كبيرة أحداث بسيطة وعابرة . . وهم يتعلمون من آبائهم الحدث البسيط . والمزعج والحدث المؤسف والمفجع . . والتفرقة بين هذه كلها . . وكثير من الآباء يتزع لبيضة تكسر كما يتزعجون بساق تكسر . . والواجب أن نعلمهم « ق الحدث . . فتقول الأم :

– آه ! . هأنذا قد فقدت كتابك للمرة الثانية ! . . هذا شىء مقل الكتب تكلفنا النقود . . وهذه تكلفنا جهدا ووقتا . . شىء يؤسف له ما حد ولكنه ليس مأساة ! . .

إن فقد كتاب يجب ألا يفقدنا أعصابنا ! إن قطع قميص يجب ألا يفل زمامنا حتى لا يتحول كل شىء إلى تراجيديا يونانية ! . إن النقد الهدا بالسهام المسمومة يجب ألا تسدد إلا إلى الأعداء . . ومن ثم لا تو الأطفال . . فعندما يقول شخص ما .

– هذا مقعد غير نظيف

لا شىء يحدث للمقعد فى هذه الحالة . . لا هو أحرج ولا هو بالإهانة . . يبقى المقعد كما هو . . أما إذا قيل للطفل : إنه غبى . . أو قبي

سخيف – فإن شيئا كبيرا يحدث للطفل : ردود فعل داخلية نفسيا وجسديا ، ويجرى لغضب والكراهية فى دمه . . وتبدأ الرغبة فى الانتقام . . وسلسلة من ردود الفعل تعل من الطفل وأبويه حفنة من البؤساء . عندما يشتم طفل :

الأم : أنت أبله . . عبيط ! . .

الطفل : لست أبله . . ولا عبيطا !

إنه يرد بأنه ليس كذلك . . وقد يصدق الطفل والديه ويلوذ بالصمت ، ندما يضحك الطفل لسبب ما يستعيد ما قاله أبواه . . ويبدأ فى التفادى من قف يتحتم عليه مواجهتها ، وتتم عملية الإحباط . . تماما مثلما يقال له :

– أنت غبى !

ويسكت . . ويكف عن استخدام مهاراته العقلية ، ويهرب من المنافسة متحانات ، لأن الأمر عنده يتركز فى « ألا يحاول » . . فيقول لنفسه :

– إذا لم أحاول . لا يمكن أن أفشل . .

ومن ثم يتوقف عن كل محاولة ، ويصبح رمزا حقيقيا للفشل والغضب ! ومما يؤسف له أننا لم نتدرب فى طفولتنا على استيعاب الغضب ، فإنه حقيقة ة يجب أن نتعلمها ، لكنهم قالوا لنا : إنه يجب أن نشعر بالإثم إذا غضبنا ، ب بالخطيئة إذا عبرنا عن هذا الغضب ! قالوا لنا : إن الغضب رذيلة . . ونحن ، أن نعبر مع أطفالنا ، لكننا لابد أن ننفجر لحظة ما . . إلا أننا نتصور غضبنا أطفالنا . . ولكن احتمالنا ضئيل للغضب ولكبحه . . الغضب كالبرد . . قد ه . . ولكننا لا نتجاهله . . قد نصاب به ونحاول أن نكتمه ، لكننا طيع حجب مظاهره . . وقد يستغرق منا لحظة ، ولكنه يبدو أبديا . . وفى ت الغضب قد نتصرف مع أطفالنا بما لا نقوله مع أعدائنا أنفسهم : نصرخ ،

ونشتم ، ونضرب تحت الحزام كما يقولون فى الملاكمة ! وعندما يتبدد الغضب نلوذ بالصمت شاعرين بالإثم . . إن قضية الغضب مطروحة ، وتحتـــاج إلى وقفة قد تطول !

الطفل وغضب الآباء

عرضنا لقضية الطفولة والأسرة والمدرسة والمجتمع . . وتحدثنا عن احتوار ، الأطفال ، كيف يكون ؟ وما ثمرته ؟ وتطرقنا لامتداح الطفل والثناء عليه وسلبيات هذا ، وإيجابياته - وناقشنا النقد الذى يوجه للصغير . . والآن نتكلم = غضب الآباء والأبناء :

أكبادنا : نغضب منهم ونغضبهم ، وقضية الغضب ، و « انظر وراءك عضب » مطروحة على الساحة الإنسانية منذ سنوات ، منذ ظهرت حركة الغاضـ فى أوربا . ونتساءل دائما :

- ماذا يغضبهم ؟ ومتى غضبوا ؟ ومتى يكفون عن الغضب ؟

إننا ندهش لبعض الناس يرفعون فى متاجرهم لافتة تقول : لا تغضـ كأنما صاحب المتجر على يقين من أنه سيغضب عميله ، ويطالبه بـ « ألا يغضب » تماما كما يحدث من الآباء تجاه الأبناء ، والأبناء تجاه الآباء كثيرا ما يسود جو الغضب البيت ، فإذا به قاتم موحش ! والغضب كالعاصـ حقيقة من حقائق الحياة يجب إدراكها والاستعداد لها . . والبيت العائلى لا على تغير مفاجئ فى طبيعة الإنسان ، إنما يعتمد على مجموعة من الإجراءات تخفف التوتر قبل أن يؤدى إلى الانفجار . . وأن ننصح بعدم الغضب كأنما

لبترول فى النار لإطفائها ! ولكى نعد أنفسنا لمواجهة الغضب ونحن هادئون علينا
ن ندرك ثلاث حقائق :

* يجب أن نتقبل برحابة صدر حقيقة أن الأطفال سوف يثيرون غضبنا .
* إننا نستجيب للغضب وللحظاته دون شعور بالإثم أو الخجل .
* من الممكن أن نعبر عن غضبنا بشرط ألا نهاجم ذات الطفل أو شخصيته .

على أن الغضب درجات . ويجب أن نعددها حتى ندركها . ونعرف : هل
تتجاوز المعقول والمقبول منها أو لا ؟ فقد يأتى الطفل عملا بسيطا يكون صداه
نا :

* الضيق !

إنه أول درجات الغضب ، ويأتى بعده نفاد الصبر ، ثم يستثيرنا ذلك
طان ، وتبدأ مظاهر الغضب تبدو ، ويقول الواحد منا :

- إننى أشعر بالغضب .
- إننى أشعر بأنى غاضب جدًا . .

تزداد حدة الغضب ، لتصبح جدا جدا جدا ، وتنتهى بأن يفقد المرء صوابه
، وساعتها لا شىء يهدئ من ثائرته . . وكل درجة من هذه الدرجات
ب تعتبر صدى لتصرفات من جانب الطفل تجاهنا ، وقد توقفه درجة منها
تمادى فى العبث . . والحقيقة أن الغضب عاطفة مكلفة . وباهظة الثمن
للآباء ، ولكى تستحق ثمنها يجب ألا تستخدم بدون فائدة ، على ألا تتجاوز
بعينها فى ممارسة الغضب . . العذر يجب ألا يكون أسوأ من الذنب ،
لابد ألا يكون أسوأ من المرض ذاته . . الغضب يجب أن يتفجر ، ليخفف
اء معاناتهم ، ويوقف الأطفال عند حدودهم ، ودون أن يؤثر بشكل سيئ
رفين معا ويدور الحوار .

الأم : ماذا بك ؟

الطفل : أبى غضب على ، وانهال شتما !

الأم : لم ؟

الطفل : كنت أستطيع أن أحتمل ذلك لولا أنه فعله أمام أصدقائى

الأم : لا بد أنك استثرته .

الطفل : دافعت عن نفسى ، فازداد غضبا ، وهكذا . .

والحق أننا لا نحتاج إلى موجات من الغضب واحدة إثر أخرى ، بل نود لو استعدنا هدوءنا ، وبددنا الغيوم والسحب التى تعلو سماء علاقات الصغ بآبائهم . .

والحق أن الأطفال يأتون من الأفعال ما يجعل الآباء يخرجون عن طورهم وليس هناك أكثر من تلك الشكاوى التى تتصاعد من الأمهات والآباء عما يـ أكبادنا من أشياء تدفع بنا إلى الثورة عليهم . . تقول أم من الأمهات :

– عندما أرى الأحذية والجوارب والقمصان وبقية الملابس ملقاة على الأ بلا عناية أشعر بالغضب ، وأحيانا أغضب إلى درجة أريد معها أن أفتح ال وألقى منها بكل هذه الأشياء فى الشارع !

إن ذلك ليس نتيجة تصرف فى لحظة بذاتها من الأطفال ، بل نتيجة ترا تأتى من اللامبالاة ، وعدم الاعتماد على النفس من جانب الطفل . وسنناقش علاقة النظام وهذه اللامبالاة المتكررة التى تحيل بيوتنا إلى فوضى تثير ال بحق . .

وأذكر أن أباً اضطر لأن يضع برميلا يلقى إليه بكل ما يجده فى غير م وعلى صاحب الشىء أن يقفز بداخله لكى يستعيده . . وتحول الأمر إلى فكا وليس كل الناس بقادرين على تحويل الغضب إلى فكاهة !

وقد نسمع من واحد من الآباء :

– إنه لما يغضبنى كثيرا أن أراك تضرب أخاك ! إن تربيته من مهمتنا أنا ووالدتك ، لذلك أدعوك إلى الكف عن ضربه بتاتا . . إذا أخطأ انقل إلينا الأمر ، وسنعاقبه بالطريقة التى تراءى لنا ، أما أن تضربه فأغضب وأضربك !

وهذه واحدة من الأمور التى تستثير الغضب ؛ فإن اعتداء أخ على أخيه الأصغر أو العكس تجعل الأب يقوم بدور الشرطى ، وتحاول الأم فض الاشتباك ، كثيرا ما يفقد الأب أو الأم هدوءهما خلال هذه المهمة الثقيلة . . على أن قائمة الغضب مازالت طويلة ، وهى متجددة . . تقول واحدة من الأمهات :

– عندما أرى الجميع يندفعون من غرفة الطعام ليشاهدوا التليفزيون تاركين كل شىء فى منتهى الفوضى والقذارة أحس أنى سأجن ، وأنى أحترق من الداخل ، وأتصور أن أفضل ما أفعله أن أحمل هذه الأطباق لأقذف بها جهاز التليفزيون . . أحطم هذا وذاك !

إن ما تواجهه الأمهات من مثيرات يومية يجعلها مستثارة على طول الخط ، إذ غالبا ما تلقى لا مبالاة قد تصبح جحودا من جانب الشياطين الصغار من وجهة نظر الأم ، وهذا يدفع بها إلى الضيق والضجر والغضب . . إنها قد تقول :

– إننى أناديكم إلى الغذاء منذ وقت طويل . . تكرر النداء ، وبدأت أتعب ! إننى طيلة الوقت الذى قضيته فى المطبخ أعد الطعام كنت أمنى نفسى ، وأقول لها : لقد طهوت طعاما جيدا ولذيذا . . يستمتع به الآباء والأبناء وإذا بى أحرم من أن أنال المديح والثناء أصرخ وأصرخ لكى تهموا إلى الطعام ! فلا أجد سوى عدم الاهتمام ! إنكم تتباطئون وتتلكئون بصورة تجعلنى أفقد صوابى ، وأعب بالطعام من النافذة أو أتمنى لو أنه احترق فوق النار !

وهذه الأمور كلها تدفع ولا شك للغضب من جانب الآباء ، ولكننا نريد

« تنظيم الغضب » إذا صح هذا التعبير ، تنظيمه وإخضاعه لقدرتنا على الإمتلاك بزمام الأمور ، بل لعل فى تصرف الآباء هذا درساً للأبناء يتعلمون منه كبح جماحهم . . إن الطفل يجب أن يدرك أن غضبه ليس كارثة تحل بالوجود . . ويجب أن يكون على يقين من أن هذا الغضب يجب أن ينتهى بدون تدمير . .

وغضب الأطفال قضية أخرى تحتاج إلى بحث ودراسة ، لذلك نحيناها . وآثرنا الحديث عن غضب الأبوين . . على أنه لابد لها من أن يكشفا للأطفال عن القنوات التى تتدفق من خلالها عواطفهم وانفعالاتهم ، وأن يدربا الأبناء على أساليب تحويل الغضب إلى عمل حقيقى ، وإلى إيجاد البدائل لمشاعرهم المدمرة

الطفل بين الترغيب والتهديد

من خلال الحوار مع الأطفال نصل أنفسنا بهم ، وقد نحتاج إلى امتداح الط والثناء عليه ، وقد نضطر إلى توجيه النقد له ، وربما يفلت زمام أعصابنا فنغض عليه وخلال كل هذه المرحلة مع أبنائنا – نحن فى حاجة ماسة إلى أن نكون يقظ لما يجرى بغية بناء الإنسان الجديد وهنا تقفز أهمية الترغيب والوعيد موض حديثنا .

* * *

أكبادنا : فى حاجة إلى أن نعرفهم جيدا ، كما أننا فى حاجة إلى معرفة أس التعامل معهم ؛ لأنا فى واقع الأمر نتصور أننا خلقنا تربويين ومربين بال والوراثة . وتتردد عبارة على ألسنة الآباء والأمهات تقول :

– لقد ربينا بدون علم نفس وبدون علم تربية ، بل بعضنا ربى على يد أ لا تعرف القراءة والكتابة ومع ذلك نجحت !

وينسى هؤلاء العصر وسماته وصفاته . ينسون أنه كان من الممكن أن تنجح هذه الأساليب التلقائية فيما مضى ! ثم من قال بنجاحها ؟ إنهم أصحاب مصلحة فى تصور ذلك ! نحن نريد أن نربى أبناءنا على العلم فى عصر العلم ، ويجب أن نتدارس تأثير التهديد مثلا على الأطفال ، التهديد ، والرشوة ، ثم الوعود ! وأيضا استخدام أسلحة السخرية ! ولا ننسى الكذب والسرقة ، والكثير . . . ، بل لا ننسى بعض أساليبنا غير المهذبة وغير المؤدبة التى نريد بها أن نجعلهم مهذبين مؤدبين ! لنقف مثلا عند التهديد . تقول الأم مهددة :

– إذا عملت هذا الشيء مرة أخرى . .

ويسقط الطفل كلمة (إذا) من العبارة ، لا يسمعها ، بقية العبارة التى تصق بذاكرته – تدعوه إلى أن يعمل هذا الشيء مرة أخرى ! كأنما كنا ندعوه إلى كراره لا إلى الامتناع عنه ! بل إن الطفل قد يقولها لنفسه بكل بساطة :

– إن أمى تتوقع منى ولا شك أن أفعل هذا الشيء مرة أخرى ! ويجب أفسد عليها توقعاتها !

والحق أن مثل هذه التهديدات – تبدو للكبار معقولة ومقبولة ، ولكنها ليست فائدة فحسب ، بل هى ضارة أيضا ! إنها تأكيد على أن خطأ ما سيتكرر ! إن التهديد فى الواقع يصبح تحديا للطفل : فإذا ما كان يحترم نفسه فإنه لابد أن ، ما منعناه عنه مرارا ، ليثبت لنفسه وللآخرين أنه ليس جبانا ولا دمية ! لقد ، إحدى الأمهات لطفلها :

إذا تكرر منك قذف النافذة بالكرة فإننى سأضربك بشدة وعنف ، ولن لك أبدا !

بعد لحظات سمع صوت زجاج النافذة وهو يتحطم دليلا على أن تحذيرات قد أجدت وأفادت ! وها هو ذا الطفل قد قذف الزجاج بالكرة لآخر مرة !

والمشهد التالى لهذا الذى حدث مشهد متصور ومعروف ومتوقع . إن أما أخرى رأت ولدها يصوب قذائف مسدسه الصغير تجاه شقيقه ، فقالت له الأم .

– لا تصوب تجاه الصغير ، صوب على (اللوحة) .

لم تهدد الأم – ولم تتوعد ، لكن ما إن صوب الطفل مسدسه تجاه شقيقه حتى قامت الأم وانتزعت اللعبة من يده قائلة :

– قلنا : لا تحاول ذلك مع الصغير ومع الناس !

وانتهى الأمر عند هذا ، لقد تعلم الطفل درسا دون أن تثيره أمه نفسيا وداخليا ، عرف أنه إما أن يصوب إلى (اللوحة) أو يفقد لعبته ، وتفادت الأم ه التهديدات المعروفة .

– كف عن هذا اللعب . إنك قد تصيب شقيقك أليس عندك (لوحة أهداف تصوب عليها ؟ سأضربك إذا لم تكف ! إذا صوبت إليه مسدسك أخرى ، مرة واحدة فلن ترى لعبتك هذه مرة أخرى !

الأم لم تقل كل هذا ، ولم تهدد به ؛ إنما قالت نصيحة لم يستجب الطفل له لذا انتزعت اللعبة . والمشهد التالى سهل تصوره : عقاب من جنس العمل وينتهى الأمر بلا مأساة وبلا صريخ .

والذى يقال عن التهديد والوعيد – يقال عن الوعود : يجب أن نتعلم ألا أطفالنا وألا نطلب منهم الوعود ! إن الوعود أصبحت « تابو » أو تميمة مسحر بلا مبرر ! علاقاتنا بأبنائنا يجب أن تبنى على الثقة المتبادلة ، وعندما يعد ا ليؤكد أنه يعنى ما يقوله فإن هذا معناه أنه إذا لم يشفع كلماته بالوعود فهى كلمات ، الوعود تبنى توقعات غير واقعية لدى الأطفال ! إن طفلا يقول مثلا :

– عدنى أن تذهب بى إلى رحلة يوم الجمعة .

– إذا وعدتك بهذا فإنه يعنى أننى على يقين من أن السماء لن تمطر يوم الجمعة ، وأن السيارة ستكون سليمة ، وأنى وأنت لن نكون مرضى ! وأن . . أن . . فهل بعد هذا تريد منى أن أعد ؟ .

هذا هو المنطق الذى لابد أن يسود الوعود ! وطالما أن الحياة تحمل المفاجآت ن الأطفال سوف يشعرون – إزاء عدم تنفيذ الوعود – أنهم خدعوا ، وأن آباءهم سوا موضع ثقة ! ونحن نسمع عبارة تقليدية من كل الأطفال ثمرة لهذا الخطأ ى نرتكبه تلك هى :

– ولكنك وعدتنى يا أبى ! أنت وعدتنى يا أمى ! .

وتكون نغمة العبارة مؤسية محزنة تدل على مدى الإحباط الذى يعانيه الطفل ب عدم إنجاز الوعد له !

وأيضا يجب ألا ننتزع من الأطفال وعودا مستقبلية بحسن السير والسلوك : إن مل فى واقع الأمر حين يعد – لا يفعل أكثر من كتابة شيك بلا رصيد ! إن هذه ور يجب ألا تمارس ضد الأطفال ، وشبيه بها : الإغراء والرشوة !

يقول الأب والأم :

– إذا ماكنت ظريفا مع شقيقك الأصغر فأصطحبك للسينما .

– إذا ماكففت عن بل فراشك فسأشترى لك (دراجة) فى عيد ميلادك !

– إذا حفظت قطعة الشعر هذه فأعطيك بعض الحلوى . .

الحق أن (إذا) فى التهديد ، (وسأفعل) فى الإغراء قد تدفع الطفل إلى ب مباشرة ، ولكنها لا تجعله أبدا متطلعا مستثارا إلى بذل جهود دائمة رة ، لكى يصبح هذا المطلوب منه عادة متأصلة فى نفسه ، عبارتنا له : ، وسأفعل » تجعله يؤمن بأننا نشك فى قدراته على التطور والتقدم إلى ن ! قول الأب :

– إذا حفظت قطعة الشعر هذه . .

هذا يعنى أننا نشك فى قدرته على حفظها . . وقول الأم :

– إذا كففت عن بل فراشك . .

تعنى هذه العبارة أنها تعتقد أنه لا يستطيع ذلك ! فضلا عن أن الجوا أو الهدايا التى تقدم إنما هى فى واقع الأمر رشوة ! ويقول أحد علماء النفس : إ طفلا صارحه بالقول :

– إننى أحصل على كل ما أريد من أمى بطريقة بسيطة ، هى أن أجعل أه على يقين من أنى سوف أكون سيئا ! إننى مضطر لأن أتصرف بطريقة سخيفة ولأن أرتكب حماقات لكى أجعلها تقتنع أنها تدفع ثمنا مناسبا لهدوئى المفتعل وأدبى الذى هو تمثيل فى تمثيل !

كانت العبارة مفاجأة ، لكنها تعنى الكثير ! إن مثل هذه المواقف تقودنا المساومة ، وإلى الحصول على ما نشاء بالتهديد والوعيد . . وإلى المطالبة بم الهدايا والرشوة فى مقابل أن نكون « طيبين » و « هادئين » و « مهذبين » ! بل بعض الأطفال أصبحوا يفرضون على آبائهم ألا يعودوا للبيت إلا وفى أيد « حاجة حلوة » ! إنهم لا يحيون من جانب الأطفال بعبارة : أهلا وسهلا ، بل

– ماذا اشتريت لنا يا بابا ؟ هل رجعت بالحلوى يا ماما ؟

إن الهدايا حلوة حين تكون مفاجأة ، وليس معلنا عنها من قبل ! وليست لأن يصبح الأبناء مهذبين ، وهم لا يصبحون كذلك بالوعيد والتهد ولا بالوعود ، ولا بالرشوة ! إنها بالتربية والمعاناة ! هذه وحدها القادرة على مواطن سوى .

الطفل والكذب

تحدثنا عن امتداح الطفل والثناء عليه ، كما ناقشنا النقد الذى يوجه إليه ، تكلمنا عن الطفل بين التهديد والوعيد من جانب ، وبين الإغراء والترغيب من انب آخر ، ونخطو إلى واحدة من قضايا الطفولة البالغة الأهمية : ألا وهى الكذب » ، وهو أمر يجب أن نناقشه فى يقظة :

* * *

أكبادنا : يكذبون ! هى حقيقة مؤكدة ، الآباء والأمهات يغضبون لهذا اصة إذا كانت الكذبة كبيرة وواضحة ! إنه ولا شك شىء مثير أن يكذب طفل سر على أنه لم يلمس الألوان ، ولم يأكل قطعة الشيكولاتة مع أن آثار الألوان يكولاتة واضحة على ملابسه ووجهه ! والسؤال الذى يطرح نفسه دائما :

- لماذا يكذب الأطفال ؟

أحيانا يكذبون ، لأنه لا يسمح لهم بقول الصدق ! لنفرض أن طفلا قال :

- أنا لا أحب أخى الصغير هذا !

من المتوقع أن تضرب الأم طفلها على قوله هذا ، قوله الصدق ! وإذا فت هنا وهناك وأعلن هذه الكذبة المدوية :

- أنا أحب أخى الصغير هذا !

عندئذ قد تعطيه أمه قطعة حلوى مكافأة له ، وقد تقبله ! والسؤال هنا .

- ما الذى يستنتجه الطفل من هذين الموقفين ؟ ومن هذه التجربة ؟

نه قد يستنتج أن الصدق يضر ، والكذب يفيد ! وقد يتصور أن أمه تحب لأكاذيب الصغيرة ! فإذا كنا نريد أن نعلم أطفالنا « الأمانة » مع أنفسهم

ومعنا – فإنه من الضرورى أن ندرب أنفسنا على الاستماع إلى بعض الصدق المر !

إن الطفل الذى نريده أن يشب أمينا صادقا يجب ألا يشجع على قول الكذب ، أو على قول ما يرضينا ، وبالذات بالنسبة لعواطفه . إن انعكاس كلمات هذه علينا هو ما يقنعه بأن كل الخير فى الصدق ، إن الأطفال حين يعاقبون على قول الحق – يكذبون دفاعا عن النفس ! وهناك أسباب أخرى لأكاذيب الأطفال : قد يقول أحدهم :

– لقد تلقيت فيلا حقيقيا هدية بمناسبة عيد ميلادى .

إن الطفل هنا يكذب ليحقق بالخيال ما يعجز عنه تحقيقه فى الواقع ، الأكاذيب هنا تقول الصدق فيما يتعلق بالمخاوف والآمال ، إنها تكشف ما يريد يكون أو يفعل ، بل إن الأكاذيب تكشف ما يريد الطفل أن يخفى ، وإن كل كذ من الأطفال تحتاج منا إلى معرفة معناها وفهم أبعادها بدلا من رفض محتواها إن المعلومات التى نحصل عليها من الكذبة قد تساعدنا على استخدامها فى تدر الأطفال على أن يفرقوا ما بين الحقيقة والخيال ! الطفل قال :

– لقد تلقيت فيلا حقيقيا هدية بمناسبة عيد ميلادى .

– طبعا ، قصدك أنك كنت ترجو وتتمنى لا أنك تلقيت فيلا حقيقيا بم عيد ميلادك ، إنها تكون هدية طريفة !

والآباء فى واقع الأمر مطالبون بألا يسألوا أسئلة يضطر معها الطفل إ يكذب دفاعا عن نفسه ، وخاصة أن الأطفال يقاومون استجوابات الآ وبالذات عندما يعتقد الأطفال أن آباءهم يعرفون الرد من قبل ، ولا حاج للإجابة ، إن الأطفال يكرهون الأسئلة التى تشكل كمينا لهم ، تلك الأسئا يرون أنفسهم فيها مخيرين ، أو مضطرين إلى أن يختاروا بين كذبة محرجة ، اعتراف مخجل : كسر أحد الأطفال بندقية أهداها له أبوه وأخفى البندقية فى

ا ، وحدث أن اكتشف أبوه ذلك . وانفجر فى مجموعة أسئلة :

الأب : أين بندقيتك الجديدة ؟

الطفل : لا أدرى ! هى فى . . هى فى مكان ما . .

الأب : إننى لم أرك تلعب بها .

الطفل : لأنى لا أعرف أين هى ؟

الأب : ابحث عنها ، أريد أن أراها . .

الطفل : ربما سرقها بعضهم !

الأب : أنت كذاب ، كذاب ! لقد كسرت البندقية ، وإذا كان هناك فى الوجود من أكرهه فهو الكذاب !

وضرب الأب طفله ضربا شديدا موجعا ، ضربه لكسر البندقية . ولإخفاء ها ، وضربه أعنف بسبب كذبه ، وكانت هذه معركة لا مبرر لها ! وبدلا من نحول الأب إلى محقق ومستجوب وخصم وحكم – كان يجدر به أن يكون أكثر الا بابنه ومساعدة له : كأن يقول له :

– إنى رأيت بندقيتك مكسورة ، إنها لم تعش طويلا ، إنه لشىء يؤسف له ؛ غالية الثمن !

من خلال هذه الكلمات الموجزة المركزة كان يمكن الطفل أن يتعلم بعض ى قيمة أنه سيعترف بينه وبين نفسه بالكثير .

– أبى يفهم ، ويدرك ، ويقدر ! إننى أستطيع أن أصارحه بمشاكلى ، وبما نى ، ويجدر بى أن أحافظ على لعبى .

، موقفنا من الكذب واضح : يجب ألا نلعب دور المستجوب والمستنطق يطلب من طفله اعترافات كاملة ، ويجب أيضا أن نسمى الأشياء بأسمائها :

فإذا وجدنا رف الكتب الخاص بابننا وقد علته كتب كثيرة فعلينا أن نفكر قبل أ نسأله . .

– هل أعدت كل الكتب المستعارة إلى المكتبة ؟ هل أنت واثق ؟ إذن لما امتلأ الرف بالكتب ؟

بدلا من هذه العبارات التى تدفعه للكذب علينا أن نقول عبارة واح كافية :

– لقد اكتظ الرف بالكتب ، إنه يحمل فوق طاقته !

وإذا ما عاد إلينا الطفل من المدرسة التى أبلغتنا أنه لم يوفق فى امتحان الحس فعلينا ألا نسأله :

– هل نجحت فى امتحان الحساب ؟ هل أنت واثق ؟ إن الكذب لن يفيدك هذه المرة ! لقد تحدثنا للمدرسة وعلمنا أنك رسبت فى الحساب !

بدلا من هذا علينا أن نخبر الطفل مباشرة :

– إن معلم الحساب أخبرنا بأنك لم توفق فى الامتحان ! إننا قلقون ويودنا أن سبيلا لمساعدتك فى هذه المادة .

إننا بهذا لا نرهق الطفل ونستثيره للدفاع عن نفسه بالكذب ، ولا نفتح الباب ، لكى لا يقول الصدق ! وعندما يكذب الطفل يجب ألا يكون رد ا من جانبنا هستيريا وأخلاقيا ، بل واقعيا وحقيقيا ! إننا نريد من طفلنا أن على ثقة من أنه لا حاجة به إلى أن يكذب !

مثلا : عادةً يعود بعض الأطفال بأشياء لا يملكونها يأتون بها من المدر وعندما يكتشف الأمر يجب ألا يتحول إلى مأساة مدلهمة ، بل علينا أن نقوله حسم :

– هذا القلم خاص بزميل لك ! أعده إليه فورا !

– هذا القلم ليس لك ، أرجعه لصاحبه !

وإذا امتدت يد الطفل لقطعة حلوى من متجر ووضعها فى جيبه فعلينا أن نقول فى حسم :

الأب – هذه الحلوى ستبقى فى مكانها ! أعدها .

ولا تشترها قط أو تدفع ثمنها ! وإذا ما أنكر وجودها نكرر عبارتنا ، وإذا لم يستجب فعلينا أن نخرجها من جيبه ونعيدها إلى مكانها . وإذا ما حصل على نقود من البيت نتصرف بالطريقة نفسها :

– أعد النقود إلى مكانها ! حين تحتاج لنقود اطلبها !

وإذا ما أنكر نستعيدها ، وإذا كان قد أنفقها نخصمها من مصروفه ، ولا نقول له : إنه كذاب . . ولص وإن نهايته ستكون السجن ! ولا نضغط عليه بسؤاله : لماذا أخذتها ؟ وربما هو نفسه لا يعرف ! ونحن بهذا نفتح له الباب لكذبة جديدة بل نقول له :

– كان الأجدر بك أن تناقش معى احتياجاتك من النقود !

وإذا ما أكل الطفل قطعة من الكعك أو المربى ، وظهرت آثارها (شاربا) تحت أنفه – يجب على الأم ألا تقول له :

– هل أخذ أحد كعكة ؟ هل رأيت من أخذها ؟ هل أكلت واحدة منها ؟

هذه الأسئلة تدفع الطفل دفعا إلى الكذب والقاعدة هى :

« إذا كنت تعرف الإجابة فلا تسأل عنها »

ومن الأفضل أن تقول بصراحة :

– أنت أكلت الكعك . . طلبت إليك ألا تفعل ، إنى غاضبة !

هذه العقوبة كافية ، إنها تترك الطفل غير مرتاح ، وتحمله المسئولية بهذه الصورة ، وسوف يغير من سلوكه .

التهذيب بطريقة مهذبة

كلنا نريد أن يكون أبناؤنا مهذبين . غير أننا كثيرا ما نلجأ إلى أساليب غير مهذبة من أجل ذلك . وننسى أن القدوة هى الأساس فى هذا المجال . . وهى تحتاج منا إلى لباقة وقدرة على ابتكار الوسائل والأساليب التى تخلق من أبنائنا أطفالا مهذبين

* * *

أكبادنا فى مسيس الحاجة إلى « التأديب والتهذيب والإصلاح » وهذه العبارة ولا شك قد سبق أن صكت آذانكم من قبل مرارا ، لأنها تستخدم شعاراً لبعض السجون ! ولا نظن أننا نريد أن نجعل أحباءنا يعيشون وراء القضبان بلا ذنب ولا جريرة ! إن التأدب والتهذب فى الواقع صفة شخصية وعلاقة اجتماعية . سلوك فردى ، ومهارة مع المجتمع ! والطفل يحصل عليها من خلال أبويه . وأسرته ومدرسته ، ومجتمعه ، ومن خلال القدوة التى نريد أن تكون حسنة . ولكن الوالدين كثيرا ما يحاولون تعليم أولادهم الأدب بلا أدب ! ويحاولون تهذيبهم بطريقة غير مهذبة حين ينسى الطفل عبارة : شكرا .

حين ينسى الطفل مثل هذه العبارة يشير إليهم الآباء أمام الآخرين : إن هذا « قلة أدب » . وهذه الإشارة فى ذاتها ليست من الأدب فى شىء ! إن الآباء أحيانا يذكرون أبناءهم بعبارة عليكم السلام قبل أن يقولوا هم : السلام عليكم !

قدمت هدية لطفل صغير ملفوفة . وبكل حب الاستطلاع راح يحاول انتزاع اللفافة من حولها ليرى ما فيها ! صاحت الأم :

- ما هذا الذى تفعله ؟ ستفسد الهدية ! ماذا يقول الإنسان المهذب حين يتلقى هدية ؟

ويرد الطفل بغضب شديد : شكرا .

وتهتف الأم : أنت ولد ظريف !

الواقع أن الأم كانت تستطيع أن تعلم الطفل هذا الدرس فى الأدب بطريقة أكثر أدبا وأقل عنفا وأقوى تأثيرا ، كان فى استطاعة الأم أن تقول :

– اشكر عمتك على الهدية الجميلة التى يمكن أن نفتحها فى البيت ، ستجد فيها مفاجأة ظريفة !

ولقد كان من الممكن أن يقول الطفل شكرا من نفسه ، وإذا لم يقلها فإن فى استطاعة ماما أن تذكره بها ، أو أن تنبهه إلى خطئه فيما بعد ؛ إذ إن الهدية يمكن أن تشغله عن كلمة الشكر . ومن الممكن أيضا أن تقول الأم حين تخلو لطفلها :

– لقد كان ظريفا لطيفا من عمتك أن تتذكرك بهذه الهدية ، ماذا لو أننا بعثنا إليها ببطاقة جميلة نشكرها على الهدية ؟ إنها ستسعدها كثيرا ، وتجعلها دائما تفكر فيك ، وتعتقد أنك تستحق هذه الهدايا !

والذى يحدث كثيرا فى مثل هذا المجال تلك المقاطعات التى يقوم بها الأبناء حين يتحدث الكبار بعضهم إلى بعض ، والأطفال لا يراعون موضوع تسلسل الأفكار لدى المتحدثين ولا يدركون سخافة تصرفهم إذا ما قطعوا الحديث ! والنتيجة ورد الفعل الذى يحدث من بعض الآباء مزعج بحق : بعضهم يقولون فى عنف وقسوة :

– لا تكن وقحا ، إنه من سوء الأدب أن تقاطع !

ويحرج الصغير حرجا بالغا ، مع أنه من الواضح أن مقاطعته أيضا فيها سوء أدب ! والأدب لا يفرض سوء الأدب أو قلّته ! إن الآباء يجب أن يلتزموا الأدب

فى عملية تعليم أبنائهم الأدب ! ومن الضرورى أن يدرب الآباء أنفسهم على مثل هذه الأمور ، وأن تكون لديهم عبارات رقيقة جاهزة لمثل هذه المواقف . كأن يقول الأب :

– بودى يا عزيزى أن أكمل حديثى أولا ، ثم نعطيك الكلمة ، ويأتى دورك .

إنه لمن الواضح أنه لا يفيدنا فى شىء أبدا أن نشتم الأطفال بكلمات نابية : كالوقاحة وقلة الأدب إن هذه الكلمات التى لا يمكن أن تجعله يدخل دائرة المهذبين . والمشكلة أن الطفل قد يتقبل هذا التقويم من جانب الأب ، ويصبح جزءا من الصورة التى يرى عليها نفسه ! وإذا ما اقتنع الطفل بأنه سيئ الأدب وقح – فسوف يلازمه ذلك الاقتناع طويلا ، وسوف يكون من الصعب اقتلاعه من نفسه ! بل قد يتمادى : فإنه من الطبيعى أن يتصرف الطفل الوقح بوقاحة : تقول الأم ضاحكة :

الأم : تصرفاتك هذه تصرفات واحد وُلِدَ فى غابة !

الطفل : ماذا تقصدين ؟ هل أنا واحد ممن يسكنونها ؟

الأم : ربما ! على كلٍّ أنا أتحدث عن تصرفاتك فقط .

هذا التناول المرح لتصرفات الطفل سيكون معاونا للأم على منح طفلها التوجيه بروح حلوة مقبولة . وخاصة فى الزيارات العائلية التى تشكل بالنسبة لبعضنا عبئا ، إنها عبء على صاحبة البيت بسبب عبث الصغار ، وعبء على الأم لخجلها من تصرفات طفلها فى حين يجب أن تكون هذه الزيارة ممتعة وبهيجة وحلوة للجميع ، للزائرين ، وللأسرة التى يزورونها ! ومن الممكن أن يترك الأمر فى هذه الزيارة لمسئولية ربة البيت . وللطفل ذاته :

الأم : كف عن الضجيج

الطفل : إننا نلعب

الأم : لنّ آتى بك معى مرة أخرى !

هذا هو الحوار التقليدى الذى يحدث بين الأم وطفلها حين يزوران صديقة أو قريبة . وكثيرا ما يتبادل الطفل وأمه عبارات بعضها حاد ، وبعضها قاس ! وتفسد الزيارة فى حين أنها أسلوب رائع للتربية ولتحميل الطفل جانباً من المسئولية وتدريبه على خلق الصداقات واللعب مع الآخرين ! ويستهوى الأطفال فى الزيارات اختيار مكان للعب غريب ! وليس للضيفة أن تعترض . إنما هذه مهمة المضيفة أن تختار للصغير المكان المناسب . وتضع له القواعد التى عليه أن يسير عليها بدون تدخل من جانب الأم .

الأم : كف عن القفز على المقاعد ، إنك ستكسر المصباح ، تعال هنا .

الطفل : لماذا لم تتركينى فى البيت أفضل ؟

الواجب هنا أن ندع للمضيفة ما هو مسموح وما هو ممنوع . إنها أقدر على ذلك من الأم التى يجب ألا تنسى أن الزيارة فرصة انطلاق لصغيرها يحقق فيها ذاته ، وخاصة أن الأطفال يستجيبون أكثر حين توجه إليهم التعليمات من الآخرين وليس من الأم والأب ! إن الأم قد تحدد الأمور بشكل قاطع قائلة :

الأم : هذه هى التعليمات هنا . هذه قوانين . أتفهم ؟

الطفل : نعم أفهم .

الأم : القانون لابد أن يسود !

إن هذا قد يحدث حين تتفق الضيفة والمضيفة على الحدود المرسومة سلفا .

إن المضيفة أحق بوضع التعليمات والحدود ، إنها صاحبة البيت ، إنها ربته فى هذه اللحظة ، ويجب على الضيفة ألا تعطى نفسها حقوقا أكبر داخل بيت مضيفتها حتى بالنسبة لطفلها ، ولكن لابد للأم أن توضح لطفلها حقيقة الموقف بالكامل ،

على أن تقول هذا فى رقة وأدب شديدين .

ولن أنسى ذلك الأب الذى راح يلقى لابنه محاضرة طويلة حول : (أن الحلم سيد الأخلاق) .

الأب : الحلم : هو كبح جماح الغضب ، يجب ألا يفلت الزمام منك !

الطفل : لماذا تغضب أنت إذن يا أبى ؟

ويرد الأب بغضب شديد : أنت طفل وقح غير مهذب !

ترى . بالله عليكم كيف يمكن للأب أن يتصور أنه يعطى ابنه درسا فى الحلم بالكلمات ، فى حين أنه كقدوة يفقد أعصابه . ويسب ويشتم لأقل عارض ؟

إن الأدب يجب أن يُتعلم بالأدب ! إن التهذيب يجب أن يقدم بطريقة مهذبة . وإلا . .

تعلم المسئولية

أكبادنا : فى حاجة ماسة إلى تعلم المسئولية . والأمهات والآباء يبحثون فى دأب شديد عن أفضل السبل لتدريب الصغار على تحمل المسئولية ، وفى كل البيوت ترتفع أصوات تقترح الحلول لهذه المشكلة .

* * *

إننا بين حين وآخر نستدعيهم من أجل أعمال بسيطة صغيرة ، فتقول الأم :

– أرجوك : من فضلك قم بتسوية فراشك .

وقد نطلب من الأبناء أموراً أخرى ربما يضيقون بها وخاصة أنهم لا يرون فى الآباء قدوة لهم فى هذا المجال كأن تناشدهم الأم فى رقة :

– بودى أن تساعدنى يا عزيزى فى المطبخ ! وتقوم عنى بغسل الأكواب والصحون !

على أن البعض يتصور أن تكليف الأبناء بهذه الأمور تدريب من أجل إرساء بعض الأسس لتحمل المسئوليات . غير أن ذلك مع الأسف ليست له آثار إيجابية لخلق روح الإحساس بالواجب ، بل قد تحدث فى بعض البيوت بعض المعارك اليومية نتيجة القيام بهذه الأعمال التى لا غنى عنها فى المنزل . وهى ربما تجلب الضيق والضجر والغضب للطرفين : الآباء والأبناء ! إن الفراش سيتم ترتيبه والأطباق ستغسل إذا أطاع الأبناء ، لكن شيئا من الضيق والمرارة ربما علق بنفسية الأبناء ! والشىء الواضح هو أن « المسئولية » لا تفرض من الخارج ، إنما تنمو من الداخل ، ويتم ترشيدها بالقيم التى بالبيت والمجتمع ، وليس أيسر لدى الأبناء من تبرير أخطائهم حتى يفلتوا من العقاب ! يقول الأطفال :

١ – ليست مسئوليتى أن كُسِر الكوب ! لقد انزلق من يدى !

٢ – الكرة ضاعت ، لم تكن غلطتى أن ركلتها بقدمى ، فوقعت فى سيارة نقل منطلقة بسرعة !

٣ – ما ذنبى ؟ الأمر لا يتعلق بى ، إنه خطأ شقيقى !

وتحمل المسئولية إذا لم يكن قيما إيجابية ، وأخلاقيات سليمة سوية – قد يثمر مخربين وأعداء للمجتمع ، فليس أقدر من رجال العصابات على تحمل لمسئوليات ! بل إن بعضهم مثل عصابات (ألمافيا) يتحملون المسئولية ولو ضحوا حياتهم فى سبيل ذلك ! وهم يطيعون الأوامر ببساطة وتلقائية ، ويعينون أسر ملائهم المسجونين . على حين أننا نريد لأبنائنا أن يكونوا أشخاصا مسئولين عن الخير الحق والجمال !

إن المسئولية يجب أن تكون تجاه الحياة والحرية وسعادة البشر : قال عضو فى

جماعة الكشافة :

– إنى مسئول عن أداء واجب فيه الخير يوميا ، كما تقضى تعاليم الكشافة ، وقد نجحت وزميلان لى فى الأخذ بذراع رجل أعمى ليعبر الشارع .

– ثلاثة يساعدون شخصا واحدا على عبور الشارع !

– نعم ، إنه لم يكن يريد أن يعبره ، أجبرناه على أن يتلقى المساعدة !

إن بعضا يتصورون أن المسئولية وتحملها يكون على هذا النحو المرح الفكه ، كما أن بعضا يراها فى سوء ترتيب غرفة الأبناء ، وعدم أداء الواجبات الدراسية المنزلية ، والانقطاع عن ممارسة فن يستهوى الصغير كالموسيقى ، بجانب الحصول على درجات ضعيفة فى الاختبارات المدرسية ، ولكن الطفل قد يحتفظ بغرفة مرتبة ، ويؤدى واجباته المدرسية بإتقان ، لكنه يتخذ برغم ذلك – قرارات غير سليمة ! وهؤلاء هم الأطفال الذين يتلقون دائم أوامرنا !

– عليك أن ترتب غرفتك وتنهى واجباتك وإلا فلن تذهب للسينما !

إن هؤلاء الأطفال محرومون من ممارسة الحكم على الأمور ، ومحرومون من الاختيار ، ومن ثم محرومون من خلق الإحساس الداخلى بمسئولياتهم !

نحن نعطى الأبناء تعاليم وأوامر كثيرة . .

والواقع أن رد الفعل الناتج عن هذه الأوامر فى غاية الأهمية ، وعليه يتوقف ما نريد أن يتعلمه الأبناء منا من خلال هذه الأوامر . فالقيم لا ترسخ بطريق مباشر ، إنها تستوعب ، تمتص ، تنمو ، لتصبح جزءا من شخصية الطفل . ويتأتى هذا من خلال تعرفه للقيم بالقدوة ، يقول الطفل :

– سأكون شجاعا مثل أبى . .

– لن أكذب أبدا ، سأكون صادقة كأمى .

وعلى ذلك فالقيم ، ومشكلة المسئولية – ترجع للآباء ، وإلى قيمهم

وأخلاقياتهم من خلال ممارسات الطفل . على أن سؤالا هنا لابد أن يطرح نفسه :

– هل هناك ميول معينة وممارسات بذاتها يمكنها أن تخلق لدى الطفل الإحساس بالمسئولية ؟

إن الإجابة عن هذا السؤال هى موضوع حديثنا المقبل ، وغرس المسئولية فى نفوس الأطفال تبدأ من منطلق ميول الآباء ورغباتهم ومهاراتهم . ومن المهم فى هذا المجال أن نسأل أنفسنا هذا السؤال :

– هل نسمح لأبنائنا أن يعيشوا مشاعرهم الحقيقية وأن يعبروا عنها ؟

إن على الآباء أن يقدموا لأبنائهم طرقاً وأساليب مقبولة تتفق مع مشاعرهم ، والواقع أن جيل الآباء فيما مضى كان يريد أن يتحكم فى كل شىء حتى المشاعر ! إنهم أنفسهم لم يكن فى استطاعتهم أن يجاروا مشاعرهم العارمة : فإذا ما واجهتهم مشاعر الأبناء العنيفة بذلوا كل جهد لكبتها ، أو إنكارها أو تجميلها وهم يستخدمون كلمات وعبارات ناعمة لا يمكن أن تعين أو تساعد على حل هذا الموقف إنه مثلا يستنكر قول الطفل أنه يكره أخاه فيقول :

– لا أظنك تعنى ما تقول ! مما لاشك فيه أنك تحب أخاك كل الحب !

وقد يحاول الأب أو الأم نفى الأمر ، كأنما لا يصدقانه ، يقول الواحد منهما :

– لا ، لا ، لست أنت الذى يتحدث ، إنما هو الشيطان الذى يتقمصك ، يضع على لسانك هذه الكلمات ! . .

وربما يبذلان جهدا خارقا لكبت المشاعر ، كأن يقول الواحد منهما فى عنف :

– إذا كنت تعنى كلمة « الكراهية » فسوف أذيقك ضربا لم يحدث من قبل !

الولد المهذب لا يمكن أبدا أن يحس بمثل هذه المشاعر البغيضة !

وقد يحاول الأب أو الأم تخفيف الأمر ، فيهمس فى ثقة العالم :

– أنت فى الواقع لا تكره أخاك . ربما ضقت بتصرف له ، إنك يجب أن

ترتفع وتعلو على هذه المشاعر والأحاسيس !

ومثل هذه العبارات تتجاهل فى واقع الأمر حقيقة المشاعر الإنسانية ، إنها كالنهر لا يمكن إلا أن يظل دافقاً جارياً لا يتوقف ! كل ما هناك أنه من الممكن تحويل مجراه ! إن المشاعر العنيفة أشبه بنهر يفيض ، ولا يمكن إنكارها أو التخفيف من عنفها بالكلمات ، أو اعتبارها كأنها لم تكن أو لا وجود لها ! لأن ذلك يعنى كارثة محققة ، ولابد لنا من تقدير حجمها الحقيقى لمواجهتها بكل الاهتمام ، وترويض الأبناء والأنهار يثرى حياتنا ، ويضيف إليها الخير والضياء ، لكن ما زال السؤال قائما :

– ما الخطوات التى يمكن أن نتخذها ، لنضيق الهوة بين الأهداف المرغوب فيها والممارسات الحياتية اليومية ؟ وأين نبدأ ؟

تكمن الإجابة عن هذا السؤال فى ضرورة عمل جدول ، وبرنامج زمنى قصير المدى ، وآخر طويل المدى للجهود المبذولة ، ولابد أن ندرك إدراكا كاملا واضحا أن تكوين شخصية الأبناء تعتمد إلى حد كبير على العلاقة بين الآباء والأبناء ، وهذا التكوين للشخصية لا يتم بالكلمات ، بل لابد من إصرار فى البرامج الطويلة المدى – على الاهتمام بتفكير الأطفال وأحاسيسهم الداخلية ، وليس بمجرد مظاهر التفكير وذلك الإحساس . والسؤال الذى يطرح نفسه فى هذه الحالة :

– كيف نتيقظ ونتنبه إلى ما يفكر فيه الأطفال ، وما يشعرون به حقيقة ؟

إن الأطفال يعطوننا مفاتيح لهذا ، وإن مشاعرهم تتكشف من خلال الكلمات التى ينطقون بها ، وطريقة ونغمة نطقهم لها ؛ كما تتضح من إشاراتهم وملامحهم وكل ما نحتاج إليه هو أن نفتح عيوننا وآذاننا جيدا ! بل أن نفتح قلوبنا ؛ لنحس بهم ونشعر بحقيقة ما يعتمل بداخلهم من فكر وإحساس !

يجب أن يكون هدفنا وشعارنا ودافعنا – أن نحاول الفهم ، وأن نعبر عن هذا الفهم دون أن نتسرع فى الحكم أو النقد . مثلا : لو عاد طفل من المدرسة مكتئبا صامتا بطيئا – نستطيع أن نستنتج لأول وهلة أن شيئا ما قد حدث . فعلينا ألا نبدأ بعبارات نقدية مثل :

– ما لك متجهم الوجه ؟

– ماذا بك ؟ ماذا فعلت هذه المرة ؟

– ما المشاكل التى تسببت فيها اليوم ؟

– هل تشاجرت كالمعتاد وصديقك . وتبادلتما اللكمات ؟

إذا كنا مهتمين بردود الفعل الداخلية لدى الطفل فلابد أن نستبعد مثل هذه العبارات التى تثير فى نفس الطفل الكراهية والبغضاء والتى تجعله يتمنى لو أن العالم كله يسقط ميتا مدمرا !

فعلى الآباء بدلا من هذا أن يقولوا عبارات أخرى مثل :

– يبدو أن شيئا سخيفا قد وقع اليوم !

– من الواضح أن يومك لم يكن ظريفا

– أكان يوما قاسيا ؟

– الظاهر أنك قابلت فى يومك بعض المضايقات !

هذه العبارات أفضل بكثير من أخرى تتساءل فى لهفة وجزع وقلق :

– ماذا بك ؟ ماذا جرى ؟

إن الأسئلة تعنى حب الاستطلاع . أما العبارات فى مضمونها العطف والمشاركة ، **وما من شك فى أن الطفل يعرف ويتعلم من « الحياة » إنه إذا أدرك أن** ما يوجه إليه انتقاد له – فلن يتعلم تحمل المسئولية ! إنه ينطوى ساعتئذ على نفسه . ويحمِّل الآخرين الأخطاء ، ويبدأ يشك فى سلامة تصرفاته وفى قدراته ؛ كما يشك

فى نيات الآخرين . ويتعود أن يعيش فى انتظار دائم للإحباطات والمثبطات وكل ما يحول بينه وبين الانطلاق للتدرب على تحمل المسئولية !

كيف تكسب طفلك

.. أكبادنا : قد تثور بيننا وبينهم حروب معلنة أو غير معلنة حول قضية المسئولية . ويجب أن يكون الآباء على ثقة من أنهم لن ينتصروا أبدا فى مثل هذا اللون من الحروب مع أبنائهم !

إن الأطفال لديهم وقت أطول ، وطاقة أكبر لمقاومتنا مما لدينا نحن الآباء والأمهات ! وحتى لو أننا كسبنا معركة ، ونجحنا فى فرض إرادتنا – فإن رد الفعل لهذا أن يصبح أبناؤنا مخربين ومنحرفين وغاضبين دائما . لكن هناك سبيلا واحدا للفوز ذلك هو :

– على الآباء والأمهات أن يفوزوا بأطفالهم ويكسبوهم إلى جانبهم .

وقد تبدو هذه المهمة مستحيلة أو من الصعوبة بمكان ، لكن الواقع أنها ممكنة ومقدور عليها ، ونستطيع فعلا النهوض بها ، حتى لو لم يكن لدينا فى الوقت الحاضر علاقات من صداقة وود مع الأطفال – فإنه من الممكن أن نبنى مثل هذه العلاقة فى المستقبل القريب ، ويستطيع الآباء أن يحدثوا تغييرات عميقة وجذرية وإيجابية فى أطفالهم إذا هم تحملوا مسئولية أولية هى :

– أن يسمع الآباء للأبناء فى انتباه ويقظة وحساسية .

ما أشد ما يتمزق الأطفال عندما لا يبدى الآباء اهتماما كافيا بالاستماع إلى أبنائهم وإلى أفكارهم وخواطرهم وأحاسيسهم ومشاعرهم ! ونتيجة لهذا فإنهم يتصورون أن أفكارهم غبية تافهة ولا تستحق الاستماع إليها ولا تستأهل الاهتمام بها ، وإلا كان الآباء قد أعاروهم آذانهم ! وقد يتطور الأمر إلى الشعور بأنهم هم أنفسهم مرفوضون وغير محبوبين ، ولا ينتظر أن يحبهم آباؤهم !

والأب الذى يصغى لطفله يشعره بأهميته وبقيمة أفكاره ومقترحاته وأنها تلقى منه الاحترام ، وذلك يقدر أفكاره ذاتها ويحترمها ويمعن فيها ، ويزداد ثقة فى نفسه ، وهذا بدوره يجعله أكثر قدرة على التعامل مع العالم والأحداث من حوله . .

هذا ما نحتاج إليه أولا : أن نستمع للأبناء أما الأمر الثانى فهو :

– تجنب ما نسميه « العنب المر » المتمثل فى النقد والتعنيف والتجريح !

إن الآباء يجب أن يتفادوا من الكلمات والعبارات التى تخلق الشحناء والبغضاء مثل هذه الشتائم :

– أنت إهانة لمدرستك ولأسرتك ! ولا أريد أن أتصور أنك تنتمى لها !

ومثل هذه الشتائم جارحة ومفزعة ، ويضاف إليها النداءات بالكلمات التى تمس الأبناء ، وترسب فى أعماقهم بشكل يصعب محوه !

– أنت برغم رأسك الكبير أبله عبيط ! هذا رأس يصلح لـ . . لـ . . ثور ! !

وربما يتمادى بعض ، فيقدم بعض تصوراته للمستقبل بالنسبة للأبناء ، فيروح يقول :

– سوف تنتهى بك الأمور إلى السجن ! أؤكد لك أن هذه ستكون نهايتك !

وقد يلجأ بعض الآباء إلى الوعيد والتهديد دون أن يدركوا أثر ذلك !

– إذا لم تهدأ وتستقر فسوف أحرمك مصروفك لمدة أسبوع !

وكثيرون يتجهون إلى إلقاء التهم إلى الأبناء دون تمحيص ولا روية .

– إنك دائما البادئ بإثارة المشاكل ، أنا أعرفك جيدا . .

وأحيانا يصرخ الأب ، أو الأم ، فى الطفل :

– اخرس ! واسمعنى ، عندى أمر لا بد أن أقوله لك . .

هذه المواقف التى هى إهانات وشتائم ووعيد وتهديد وصرخات وتعنيفات – « عنب مر » يترك طعما مرا على لسان الأطفال ! وإذا كنا قد ركزنا على ضرورة أن يستمع الآباء للأبناء ، وألا يوجهوا إليهم مثل هذه الكلمات والعبارات – فإننا يجب أن نشير إلى الأمر الثالث الهام الذى نحتاج إليه فى تعاملنا مع الأطفال ، وذلك هو :

– إننا يجب أن نعبر عن مشاعرنا وأفكارنا دون هجوم وانتقاد .

فى المواقف المثيرة الصعبة يكون الآباء أكثر تأثيرا عندما يعبرون عن أفكارهم ومشاعرهم دون أن يهاجموا الطفل وشخصيته وكرامته ، ويجب ألا نعتبر – كما قلت فيما مضى – الغضب كحقيقة ثابتة فى الحياة ! وعندما يستمع الآباء إلى أبنائهم باهتمام ، ويتجنبون المقاطعة والتعليق على كل عبارة ، ويعبرون عن آرائهم بلا إهانات – فإننا لابد أن نتوقع من الطفل تغييرا ملحوظا ؛ إن جو التعاطف يجتذب الأطفال ويقربهم إلى آبائهم . وسيزيد ذلك من ميلهم إلى التعقل والهدوء ! ولكن ذلك لن يحدث فجأة وبين عشية وضحاها ؛ وإنما يحدث تدريجا وببطء ، ولكنه يحدث حتما . ولاشك أن الأب فى تبنيه الاتجاهات وممارسته ذ سوف يخلق لدى طفله الشعور بالمسئولية .

على أننا لا يمكن أن نغفل أن هذا الشعور يخلقه الطفل بنفسه ومن خلا مجهوده الخاص ، ويبقى الآباء قدوة ومساعدين ، لكى تكون المسئولية جزءا م

شخصية الطفل . ومن أجل هذا من الضرورى أن نقرر على وجه التحديد : أى مسئوليات محددة نعطيها الأطفال فى مراحل نموهم ونضجهم المختلفة ؟ فهم لا يولدون وقد تشكل لديهم الإحساس بالمسئولية ، ولا يكتسبونه تلقائيا . .

إنه مثل تعلم العزف على « البيانو » يأتى تدريجا ، وعلى مدى سنوات طويلة ، ولكننا نفاجأ بأننا أمام عازف ماهر نتيجة التدريب المستمر على الممارسة وعلى الاختيار والانتقاء خلال سنى العمر مرحلة بعد مرحلة ، كل مرحلة بما يناسبها .

إن تدريب الأطفال على تحمل المسئولية يمكن أن يبدأ فى سن مبكرة جدا ، والسبيل إلى ذلك أن نسمح للأطفال أن يقولوا كلمتهم ، وأن يبدوا اختيارهم فى الأمور التى تهمهم .

وهناك أمور ولا شك يجب أن يتحمل الطفل مسئوليتها بالكامل ، وأخرى يستطيع أن يعبر عن رأيه فيها ؛ فإننا نرفض أن يكون الطفل مهملا ، ومجرد « دمية » فى يد الآباء والحد الفاصل بين ما يتحمله الآباء وما يتحمله الأبناء – يجب أن يكون واضحا ، وألا يعبره أى طرف ، وما أصعب تحديد المسئوليات ! والفكاهة العالمية تقول :

– إنى لا أختلف أنا وزوجتى أبدا ، هى تهتم بالمسائل البسيطة العادية !

– ما هذه المسائل ؟

– أن أستقيل من عملى ! أن نغير البيت والأثاث ! أشياء من هذا القبيل !

– إذن : ما مسئولياتك أنت ؟

– المشاكل الكبرى : الشرق الأوسط ، الغذاء العالمى !

ولسنا نريد أن تكون المسائل بهذه الطريقة ؛ فلا مسئولية على طرف ، على حين أن كل المسئوليات الأسرية المنزلية على الطرف الآخر ! بل لابد من توزيع عادل للمسئوليات ، فيتقاسمها الآباء والأبناء فيما يختص بهذه الأجيال التى لا تريد أن

تحمل عنها كل العبء ، فتشب وهى غير مدربة على تحمل المسئولية ، ولا نريد لها أن تنوء بالعبء قبل الأوان ! والدراسة المتأنية للمجالات المشتركة فى المسئولية بين الأب والابن ستثمر خطوطا واضحة محددة . والسؤال المطروح :

-- ما مجالات المسئولية وغرسها لدى الصغار منذ نعومة أظفارهم ؟ وما الفاصل ما بين مسئولية الكبار وواجب الصغار فى كل مجال من هذه المجالات ؟

ليس أيسر من الرد على هذا السؤال إذا ماراجعنا تلك الاحتياجات الأساس للأطفال ، وهى تتركز بداية فى الطعام والملابس ، ثم تندرج تحت الاحتياجات أمور المدرسة والتعليم والتربية فى سن تالية ، وتأتى من بعدها أمور الهوايات . ولا يفوتنا اللَّعب ولا اللُّعب . ولابد أن نهتم بموضوع مصروف الجيب للطفل وحجمه . وأسلوب إنفاقه ! وهناك كذلك اختيار الأصدقاء بجانب التعامل مع الآخرين ، وتربية الحيوانات ، إلى آخر هذه الأمور ، إلى أن نصل إلى ساعات الخروج وحدهم ، وأمور من هذا القبيل . ولا يتصور أحد أن هذه القضايا بسيطة ، فهى فى منتهى الأهمية والحيوية ، وعليها يتوقف الكثير فى مجال غرس المسئولية لدى الطفل ، حتى تنتهى كلمات (اللامبالاة) ، و (الأنانية) و (الهروبية) من حياة الأجيال الجديدة !

الشعور بالمسئولية

أكبادنا : فى حاجة لكى نغرس فيهم الشعور بالمسئولية – إلى تحديد واضح لواجبهم ، والواجب تجاههم فى مجالات بذاتها ، وأمور يتعين علينا أن نستمع إلى وجهة نظرهم فيها فحسب ، على أن نشاركهم فيها بالرأى إقناعا واقتناعا .

* * *

حتى الطفل الذى يبلغ من العمر عامين فقط علينا أن نسأله :

– عزيزى ، هل تريد الكوب مليئا كله باللبن أو تريد فقط كوبا صغيرا ؟

والطفل الذى لا يتجاوز أربع سنوات من الضرورى أن نسأله :

– هل تريد يا عزيزى البيض مسلوقا أو تريده مقليا فى الزبد ؟

والطفل وهو فى السادسة يجب أن نسأله :

– هل تفضل يا عزيزى البطاطس أو الفاصوليا فى غذاء اليوم ؟

إن الأطفال يجب أن يوضعوا فى مواقف عليهم من خلالها أن يتدربوا على الاختيار ، فإنه ينبغى عليه معرفتهم لأذواقهم ولأنفسهم ثم على الآباء أن يخلقوا يختاروا « الموقف » وعلى الأطفال أن يحكموا فكرهم ليختاروا ويتحملوا مسئولية اختاروه ، ولكن علينا أن نتنبه أنه يجب علينا ألا نسأل الصغير :

– ماذا تريد لطعام إفطارك ؟

بل يجب أن نساعده بطرح السؤال بشكل آخر هو :

– هل تريد البيض مسلوقا ، أو مقليا ؟ هل تريد « كاكاو أو شايا باللبن » ؟ ترغب فى كوب من العصير أو اللبن ؟

إن الصغير ليس فى مقدوره أن يقرر لنفسه إفطاره بالكامل ، يجب أن نقدم له المقترحات ما يختار بينها تيسيرا وتسهيلا له ، وليتحمل مسئوليات أبسط ، وعلى ما أتحنا له من حق . من الضرورى ألا يكون الطفل متلقيا للأوامر فحسب ، مشاركا فى القرارات التى تشكل حياته !

ولا بد أن يتلقى الطفل من الآباء وسائل واضحة كل الوضوح ، فيقال له :

– إننا نقدم الشاى والحنان ؛ كما نقدم اللبن والكعك والاختيار مسئوليتك !

ن الكثير من مشاكل التغذية تخلقها الأمهات اللائى يبدين اهتماما زائدا بمزاج ن ، ويتدخلن فى ذوقهم ، ويفرضن عليهم ألوانا بذاتها من الطعام

والخضراوات ، بل يحددن أى الخضراوات بالضبط تفيد جهازا بذاته ! ومن المفيد للطفل ألا يكون لأمه وجهة نظر محددة فى الطعام ! إن عليها أن تقدمه فحسب لطفلها ، وعليه أن يختار من بينه ، ويأكل الكمية المناسبة لشهيته والتى يحتاج إليها . وهذا لايناقض الطب والعلم ؛ فالطفل يختار وفق احتياجاته ، ولا ضير من تركه يتحمل المسئولية ! على الأم أن تقول بحزم :

– هذا هو الغذاء ، كل . . وكن يقظا إلى أنه لن يقدم لك سواه حتى يحين وقت العشاء ؟

إن بعض الأبناء يأكلون وجباتهم على مدى اليوم كله ، ويخطفون بعض ألوان الطعام فى فترة ما بين الوجبات ، فإذا حان وقتها انصرفوا عنها ، وبعد قليل ترتفع أصواتهم مطالبة بالأكل ! وهنا نستطيع أن ندرب الأبناء على تحمل مسئولية خطئهم . قد يقرصهم الجوع ، لكنه سيكون أستاذاً لهم ، وعلى يديه يُلقّنون درسا رائعا فى التنظيم والمسئولية ! ونحن نواجه من أبنائنا بنفور من ألوان معينة من الطعام : فبعضٌ يقسرهم ويفرض عليهم تناولها ، وبعض يذعن للصغار فلا يقدمها لهم ، وكل من الموقفين غير سليم : فلا القسر مفيد ، كما أن الإذعان للأطفال ضار ! وعلينا أن نسعى جهدنا لمعرفة سر النفور لإزالته . . قالت طفلة لا تحب اللحوم لأمها :

– أكلنا ليس حلوا ، طعام خالتى أفضل !

وكانت الطفلة قد بقيت عند خالتها لفترة امتدت بعض الوقت لسفر الأسرة وعندما سألت الأم شقيقتها عن سر إعجاب الابنة بطعامها قالت الخالة :

– لاحظت أن ابنتك لا تميل لأكل اللحوم ؛ لذلك وضعتها « مفرومة » الخضر !

ولم تنتبه الصغيرة لذلك ، وأكلت اللحم – الذى تضيق به – أ

« مفروما » بكل الرضا !

والتحايل هنا مطلوب وميسور ، ويحل الكثير مما يواجهنا فى قضية الطعام ! ونحن نناقشه هنا فى إطار تحميل الصغير المسئولية وليس لذاته ؛ فالطعام بالنسبة للأطفال ليس كل شىء ، وليس بالخبز وحده يعيشون ! .

ويأتى موضوع الملابس تابعا للطعام فى تدريب الأطفال على المسئولية وتحملها !

ففى شراء الملابس للصغار ، نحن الكبار نتحمل مسئولية أى شىء يحتاجون إليه ، والميزانية التى نستطيع أن نخصصها لهذا الاحتياج . . وفى المتجر نختار الكثير من العينات تدخل فى إطار الاحتياج والميزانية . وللطفل أن يختار ما يريد أن يلبس من بين هذه العينات . . تقول الأم :

– انتق يا عزيزى ألوان القمصان التى تريدها من هذا المعروض عليك !

هذه العبارة من الممكن توجيهها لطفل عمره ست سنوات ، إنه يستطيع أن يتحرى جوربه وقمصانه وغير ذلك من الملابس ! وهناك مجتمعات لا تمنح الصغير هذا الحق ، وتفرض عليه ذوقها ، وهو بذلك لا يتدرب أبدا على اختيار ملابسه ، وقد يرتكب معه هذا الأمر ، فيرى نفسه دائما معتمدا على آخرين ! وما أكثر ما يصطحب الأطفال معهم أمهاتهم ، أو زوجاتهم ليخترن لهم ! والحق أن موضوع الملابس يجب أن يستوقفنا بعض الوقت . لأنها أضحت كرنفالا ! والعصرية تأتى فيها كل يوم لابد من (الموضة) . والسؤال :

– ما موقفنا – نحن الأمهات – من هذا الذى يجرى فى أسواق الملابس عالميا ؟

فرق كبير بين ملابس الأولاد والبنات ، ولا الرجال والنساء ! الألوان صاخبة جدا ، ولا مقياس لما يجب أن يلبس أو لا يلبس ! المقياس الوحيد هو (الموضة) ! وهى تتجدد بسرعة لا نكاد نلحق بها !

نقولها بكل بساطة ووضوح : « تراثنا خير دليل لنا ، يجب ألا ننسى عمر بن الخطاب حين وزع على كل واحد من المسلمين مترين من القماش . وصعد المنبر يوما يرتدى جلبابا كاملا ، قال له أحدهم :

– من أين لك هذا؟ أنت أطول منا وتلبس ثوبا كاملا . كيف تأتى هذا ؟

ويقول عمر : اترك هذه . . ويصر الرجل . فينادى عمر بن الخطاب ابنه عبد الله . ويقول له : قل لهم يا عبدالله : من أين أتيت بثوبى ؟ ويقول الابن : (تنازلت) ياقوم لأبى عن ثوبى ! هذا هو أمير المؤمنين ولباس أمير المؤمنين ! فلا نسرف فى تكديس بيوتنا بالثياب . ولا نحول أطفالنا إلى مسخ وكرنفالات . ومضحكين فى سيرك بملابسهم الطاووسية ! ونلق بها بعد أن يلبسها الصغير مرة أو مرتين ، إنه بذلك يتدرب على الإسراف ! إن تدريب الصغير على المسئولية يطالبنا بأن يكون اختيار الثياب جزءا من هذا المران . وذلك التدريب واختياره لثيابه خلال رحلة أو زيارة أو لأية مناسبة علينا أن نعرض عليه ما لديه من ثياب :

– اختر ما تلبسه لتخرج به إلى السينما .

– انتق ما تريد ؛ لتستقبل به عمتك حين تزورنا .

ويجب أن نرفض منه عبارة تقول :

– ألبس أى شىء ! اختارى لى أنت يا أمى ، كله يستوى . .

إن عبارة كهذه قد تكون سببا فى التشنيعة التى تقول : « كله عند العرب . إن الاختيار ذوق ، ومسئولية وفن ! وعلينا أن ندرب عليه أكبادنا ، وهو مس ليست هينة ولا بسيطة : تدلنا على ذلك تلك الحكاية الشعبية القديمة التى يحك فيها عن رجل طلب منه أن يقطع بضع شجرات فى غابة ، ومنحوه أسبوع وقطعها فى يوم واحد ، وفى المرة التالية طلبوا إليه أن يقطع مجموعة أشجار فى أر

أيام فقطعها فى نصف يوم ، وقالوا له :

– أنت رائع ! سنعطيك فرصة لكى تستريح ونعطيك عملا سهلا ، هذه الكمية من الثمر : راجعها واختر منها الجيد : ضعه فى سلة ، والباقى فى سلة أخرى . . ستنتهى من هذا فى ساعتين .

ورجعوا إليه بعد يوم ليجدوا السلة أمامه ، ولم يفرز أكثر من ربعها ! سألوه : ما هذا ؟ أجابهم : إن لدى مشكلة أن أختار بين الجيد وبين ما ليس جيدا ، وهذه مسألة صعبة ، قطع الأشجار مسألة جهد لا يحتاج إلى اختيار وحكم ! ومن هنا نرى صعوبة تدريب الأبناء على الاختيار وتحميلهم هذه المسئولية ! إنها أصعب من قطع أشجار الغابة ، ولتكن البداية مع الطعام والثياب ، وتتلو ذلك أمور أخرى كبر إلى أن ننمى عند الصغير حاسة الحكم على الأمور ومواجهة المسئولية ، تحملها والمضى بها قدما نحو النجاح . وليصبح كل منهم فى مستقبل حياته « مسئولا » وهى كلمة نطلقها دائما عن هؤلاء الذين ينجحون فى حياتهم ، يتصدون لمهام الأمور !

الواجبات المدرسية

أكبادنا في مسيس الحاجة للتدرب على تحمل المسئولية صغارا ؛ حتى لا يهربوا منها كبارا ، وحتى يواجهوها في كل نواحي حياتهم حاضرا ومستقبلا . وعرضنا للطعام والملابس كوسيلتين فمن خلال اختيار الطفل لهما في مقدورنا أن نعلمه الاختيار : فنا ، وذوقا ، ومسئولية . ومنذ اليوم الأول الذي يذهب فيه الطفل للمدرسة يجب علينا أن نفهمه أن واجباته المدرسية مسئوليته وحده مع معلمه !

ولست أنسى الطفل الذي قال للفتاة التي تساعد في أعمال البيت ، قال – أنا سأنام ، اعملي الواجب : اكتبي الكلمات بخط واضح ، ولا تنس الحساب !

وانفجرت الأسرة ضاحكة ، وبعد الضحكة تكتشف حقيقة مرة : إن الط يتهرب من مسئولياته ! . ونحن نرى أنه يجب أن تنفض الأم والأب أيديهما مسئولية الواجب المدرسي الذي على الطفل أن يقوم به في البيت ، عليهما ألا يرا الصغير ، وألا يساعداه فيه مساعدة تهدم الهدف منه ! نعرف أن المعلمين يخالا هذا الرأي ! يقول واحد منهم :

– إن الأسرة يجب أن تشرف على الواجبات المنزلية بالمدرسة ، إنها مدر ومنزلية في الوقت ذاته ، إنها رمز للتعاون بين البيت والمدرسة !

ولكننا نرى أنه يجب ألا تتدخل الأسرة فى الأمر اللهم إلا إذا طلب إليها الطفل المساعدة والمعاونة لا أكثر ولا أقل ! وإذا ما أخذت الأم أو الأب على عاتقه القيام بأعباء الواجبات والدروس المنزلية – فإنها ستصبح قيدا لا يمكن الفكاك منه ! إن الواجبات المنزلية قد تصبح سلاحا فى يد الصغير يعاقبنا به ، أو يهددنا أو يستغلنا عن طريقه ! ومثل هذه المأساة يجب أن نتفادى منها ، وإننا لنضيف للبيت متعة غالية لو أن الآباء لم يبدوا اهتماما كبيرا بالتفاصيل الخاصة بالواجبات المدرسية ، بل إنهم يؤكدونها باستمرار ، فيقول الأب :

– الواجبات المنزلية مسئوليتك وحدك يا عزيزى ، إن مثل مسئوليتك عنها كمسئوليتنا عن عملنا !

يجب عدم المبالغة فى قيمة الواجبات المنزلية المدرسية فى السنوات الأولى وهناك مدارس كثيرة لا تثقل أبناءها بالواجبات ، ويبدو أن الأطفال الذين ينطلقون بعد الظهر أحرارا يفكرون – يحصلون القدر نفسه من الثقافة والخبرة الذى يحصله هؤلاء الذين نثقل كاهلهم بالواجبات المنزلية وهم فى السادسة أو السابعة من لعمر !

على أنه يجب أن يكون واضحا أن الواجبات المدرسية تُعْطَى من أجل شىء احد ، هو تدريب الأطفال على تحمل المسئولية وحدهم ! والأسرة يجب أن ساهم فى حصول الأطفال على هذا التدريب ؛ ولهذا يجب أن يكون الواجب نزلى على قدر طاقة الطفل ؛ ليعمل فيه مستقلا معتمدا على نفسه ، بمساعدة يسيرة واضعة من الآخرين إذا طلب الصغير ؛ لأن المساعدة الكاملة تشعره بأنه ليس بكفاية الكافية للقيام بهذه المسئولية ! ولتكن مساعدتنا كالتالى :

– أعندك اليوم واجبات مدرسية ياعزيزى ؟

– حفظ قرآن كريم ، وخمس مسائل فى الحساب وإملاء .

– بأى شيء ستبدأ ؟ فكر ، وعندما تحتاج إلى لأملى عليك قطعة الإملاء تعال .

ويجب أن نسمح له فى البيت ببعض الانطلاق واللعب بعد فترات الجلوس الطويلة على مقاعد حجرات الدراسة ، ولابد أن نوزع معه الوقت ما بين الواجبات واللعب ، ونوزع الوقت بين الواجبات ذاتها ؛ كما يجب ألا يفوتنا أن نمنح الإذاعة والتليفزيون والمسرح والسينما جانبا من وقت الصغير ، وبعض الأطفال يحبون أن يكونوا بجانب الكبار فى أثناء قيامهم بعمل واجبهم المنزلى المدرسى ، ولا مانع من ذلك بشرط ألا يكثر الكبار من الملاحظات حول طريقة جلوسه أو نظافة الطفل أو أناقة مظهره ؛ فالتظاهر بالانهماك فى شيء آخر فى هذه الحالة أفضل ! إن بعض الأطفال يستوعبون أكثر لو أنهم داعبوا شعرهم أو هزوا مقاعدهم فى أثناء الجلوس ! وتعليقاتنا عليهم وملاحظاتنا تصيبهم بمزيد من التشتت والقلق والتعب ! وكذلك علينا ألا نقاطعهم بأسئلة أو استفسارات يمكن تأجيلها ، بل إننا نظل موجودين – غير موجودين لمجرد المساندة أو المساعدة إذا طلبت ، ويجب ذلك بدون تعليمات أو أوامر إليهم ! قد نشرح لهم كلمة أو عبارة ، ونتفادى من عبار مثل :

– لولا أنك شخص مشتت ، لعبى – لأمكنك أن تتذكر دروسك !

وعلينا ألا نبادره بقولنا :

– لو أنك استمعت إلى مدرسك جيدا لاستطعت أن تؤدى واجباتك المنزل بسهولة !

إن مساعدتنا للطفل يجب أن تكون بلا تشكيك فى قدراته ، وبلا تأنيب ، برقة وحنان !

يجب أن نسمعهم ولا نحاضرهم : أى لا نلقى عليهم المحاضرات ! إن علينا

نريهم الطريق ، وعلى الرحالة أن يمضى إلى هدفه معتمدا على نفسه ! وموقف الآباء من المدرسة والمعلم ينعكس ويؤثر فى موقف الطفل من دروسه المنزلية : فإذا امتدح الأب المدرسة ، وأعلن عن رضائه عن المعلم – ساعد هذا فى تبنى الطفل لواجباته المدرسية المنزلية ، وساعد على أن يهتم بها ! فإذا كان المعلم صارما فعلى الأب أن يكون حنونا عطوفا ، فيقول للابن :

– يبدو أنه عام دراسى محتشد : المواد كثيرة ، البرنامج طويل ، لابد أن معلمكم يطلب منكم الكثير ويطلبه بحزم ! يجب أن ترضيه مهما كانت الواجبات التى يعطيك إياها كثيرة وطويلة ! على كلٍّ فائدتها لك ، وليست له !

وفى استطاعتنا مساعدة الأبناء بالحزم إذا كان المعلم متساهلا ، ولا يعنى الحزم لك الأوامر والنواهى التى نلقى بها للأبناء كلما رأيناهم :

– استذكر ، لن نسمح بفتح التليفزيون أبدا ولو يوم الخميس والجمعة ! يك فى كل يوم أن تستذكر ، رتب ساعات بعد الظهر وفق جدول خاص ستذكار وإلا فلن تنجح !

هذا أسلوب فى واقع الأمر مرهق ومنفر للصغار ، ويدفعهم بعيدا عن وسهم وعن واجباتهم !

إن الواجبات المدرسية المنزلية كثيرا ما تسبب نزاعات أسرية يمكن التفادى ؛ إذ إن تطويرها قد يصل بهم إلى أسوأ العواقب ! . ولدينا أمثلة لما تقوله ى الأمهات أو الآباء :

– يا عزيزى ، انا تعبت . . لا أستطيع أن أمضى فى تذكيرك يوميا بواجباتك سية ، هات كل كتبك وكراساتك لأعرف مدى خيبتك فى دروسك ! إننا لن ح أبدا بولد خائب فاشل فى الأسرة يفضحنا !

إن التهديدات اليومية المستمرة ، وتذكير الأبناء بالواجبات المدرسية المنزلية

كثيرة فى مجتمعنا وعادية ، والآباء والأمهات يشكون لضيوفهم من الأبناء ، ويبادلهم هؤلاء الشكوى ! وواقع الأمر أن هذا كله لا جدوى منه ولا فائدة ! بل هو يسيء ويضر ! هو يخلق جوا من النكد والشد والجذب ! ويخلق آباء متوترين وأبناء غضابا يهربون من المسئولية ، فى حين أن هذه الواجبات المنزلية المدرسية وجدت للتدريب على تحمل المسئولية !

الاستذكار

أكبادنا فى حاجة للتدريب على ممارسة المسئولية ، والواجبات الدراسية التى يُعَطُونَها لإنجازها فى البيت تدريب رائع على هذه الممارسة ، إلا إذا عرقلناها نحن عن طريق الأسرة ! إن كثيرين من الأطفال الممتازين نجدهم – كنتيجة حتمية لطموح الآباء والأمهات وثمرة لضغطهم المستمر – أقل مستوى مما نتوقع ! بل إنهم يفشلون بسبب إحساس داخلى عميق بهذا الإرهاب الواقع عليهم !

* * *

يقول الأب :

– نابليون عندما كان فى عمرك – كان يسبقك بسنتين أو ثلاث سنوات موزار وهو فى السابعة من عمره وضع سيمفونية ! على بن أبى طالب نام فى فراش سيدنا محمد فى شجاعة وهو فى سن أصغر من سنك يا خائب !

وينسى الأب أن نابليون فى سنه هو كان قائدا لفرنسا ، وأنه شخصيا – الأب – لم يضع سيمفونية لا وهو فى السابعة ، ولا وهو فى السابعة والعشرين الثلاثين ! كما أنه لم يقف عمره كله موقفا شجاعا كذلك الذى وقفه على أبى طالب ! وإنها لسقطة أن « نعاير » أبناءنا « ونقارن » بينهم وبين هؤلاء أو وبين أنفسنا نحن الآباء والأمهات ! ويجب ألا يقول الأب للابنة :

– انظرى ! يجب أن تكونى مثل ماما !

وعلى الأم ألا تطالب ابنها بأن يكون مثل (بابا !) إنه – أى هذا الصغير – يجب أن يشب وهناك قدر كاف من الاستقلال والذاتية عن الأب والأم ! إنه ليس صنما ولا ضرورة لصبه فى قالب معين . . وعندما تبدى الأسرة اهتماما مبالغا فيه بالشهادة الدراسية الفترية – نصف السنة وغيرها – فهى بذلك تسبب للصغير تمزقا كبيرا ، إنه إذا لاحظ أن الدرجات التى يحصل عليها ما هى إلا جواهر وأحجار كريمة توضع على جبين الأبوين – ساعتئذ يفضل الطفل أن يعود بأحجار وغطيان زجاجات هى على الأقل خاصة به ! إن الطفل يفشل فى تحقيق رغبة أبويه كرد فعل ، وثورة عليهما وكرغبة فى فرض استقلاليته ! يقول الأب :

– هذه الدرجات من أسوأ ما حصلت عليه فى عمرك !

– ذلك كل جهدى !

– لا ، أبدا ! كان فى مقدورك أن تحصل على أكثر . .

– لو كان فى مقدروى لفعلت !

– لن أوقع عليها ، قل لهم فى المدرسة : إنى رفضت ذلك !

وينفجر الصغير باكيا ، وقد يرجو أمه ، وربما تقبل التدخل ، ويستمر النقاش الذى ينتهى دائما بأثر نفسى غائر عميق فى نفس الصغير ! وهكذا فإن الحاجة لاستقلال قد تدفع الصغير للفشل مهما بلغ ضغط الآباء وتهديدهم له ! وقد قالها صغير فى وضوح :

– إنهم قد يستطيعون أن يمنعونى من مشاهدة التليفزيون ، وقد يحرمونى مروى ! ولكن لن يمنعونى من الحصول على درجات سيئة فى الامتحانات ! ولن يمونى أن أكون نفسى برسوبى فى الحساب الذى لا أطيقه .

هذه هى النتيجة ، وهى فى واقع الأمر كارثة محققة ! ومن الواضح أن مقاومة

التعليم ورفض الدروس ليس مشكلة يسيرة الحل ، بل هما أمر بالغ التعقيد ! إن زيادة الضغط يمكن أن تقابل بزيادة فى المقاومة من جانب الأطفال ، كما أن الحرية المطلقة للطفل قد تعنى قبول التهرب من المسئولية وعدم مواجهة الواقع ! والحل ليس سهلا ولا هو بسريع ! إنما هو معاناة طويلة ، ولكنها من أجل شىء يستحق ، وأمر له خطورته ! بعض الأطفال قد يحتاجون إلى « علاج » نفسى لحل مشكلة صراعهم مع آبائهم ! ولكى يكتسبوا القدرة على الإنجاز وليس العكس ، وذلك لا يتأتى إلا إذا اقتنعنا واقتنع الطفل بأنه شخصية مستقلة لها كيانها الخاص بها وذاتيتها المتفردة ! إن عبارة كهذه يجب أن تقال للصغير :

– أنت يا عزيزى مسئول عن نجاحك وفشلك ، لن ينسب لى نجاحك ، إنه خاص بك ! وكذلك فشلك إنه خطؤك أنت ، ولكنك تملأ البيت فرحا بنجاحك ، وتملأ قلبى بهجة بتفوقك ! هل تضن علينا بهذا ؟ .

إن الطفل إذا ترك يمارس حرياته ويمارس مسئولياته – استطاع أن يؤديها أفضل مما لو أننا سلبناه إياها ، إنه سوف يقدر هذه المسئوليات ، وسوف تعمق فى نفسه القدرة على تحمل الواجبات من أجل نفسه ، وأسرته ، ووطنه ! بل المسئولية الموضوعية تجاه البشر والحياة !

وليس أيسر من أن يقول الطفل :

– تعبت !

ومن واجبنا أن ندعه يستريح ولا نلاحقه بسوط عذاب اسمه :

– استذكر !

وربما تطرقنا هنا للحديث عن الدروس الخصوصية التى نراها شيئا يدفع الأمر إلى مزيد من عدم الاعتماد على النفس ، الأمر الذى يشكل خطورة على شخصية الطفل ، وعلى قدرته على الاستيعاب ! ويجعله دائما شجرة لبلاب لابد أن تبحث

لها دائما عما تعتمد عليه ، لكى تنمو ! إن جانب الاعتماد على النفس هو أخطر أهداف الواجبات المنزلية الدراسية ، إنها ليست للتحصيل فحسب ، ولن أنسى كلمة ذلك الأستاذ الجامعى الذى قال :

— إن التعليم والتثقيف الذاتى هو الوسيلة الوحيدة للإنسان ليبنى نفسه ، لا سبيل للتدريب على هذا اللون من التعليم المستمر والتثقيف الذاتى إلا الاعتماد على النفس فى أداء واجبات المعلمين المنزلية . بلا مساعدة من أحد ، وبلا معونة من الأسرة !

ولقد طرقنا حتى الآن قضايا الاختيار فى الطعام والملبس ، وتحدثنا عن الواجبات والدروس المنزلية وبقى لنا كثير من المجالات التى يتدرب عليها الطفل على تحمل المسئولية : أولها ممارسة الهوايات ، وخاصة إذا لم يكن بين أفراد الأسرة من يمارس هذه الهواية : كالموسيقى ، أو الرسم ، أو التمثيل ، وتقول أم :

— ابنى خجول ! لم يمكنه قط أن يواجه الناس !

والتمثيل ، والحوار ، وسيلة لعلاج الخجل ، لأن الخجل مرحلة من مراحل التدرب من المسئولية وصورة واضحة لها ، والهوايات قادرة ولا شك على علاج الخجل !

وهناك أيضا قضية « مصروف الجيب » وهو من أمور عدة يمكن من خلالها تدرب الأبناء على التصرف فيما يملكون ، وهذه مسئولية هامة يجب أن نوجه إليها أبنائنا ، فلا نجعل الابن يغل يديه إلى عنقه ، ولا ندعه يبسطها كل البسط ! المفيد أن نقف عند هواية ما . كالموسيقى نناقشها كقضية من قضايا التدرب على مسئولية ممارسة هذه الهواية ، ومن الضرورى أن نناقش قضية الأبناء والمال ، أيضا من جملة قضايا محاسبة النفس ومحاولة الاعتماد عليها !

الطفل والموسيقى

أكبادنا : فى حاجة للتدرب على تحمل المسئوليات ، وعلى جبهة عريضة تبدأ من الطعام والثياب ، والواجبات المنزلية التعليمية ، ومصروف الجيب ، وممارسة الهوايات – تقوم بإعدادهم للاعتماد على النفس . ودروس الموسيقى لون طيب من الهوايات التى من خلالها يتم التدرب على مواجهة المسئوليات وتحملها .

* * *

ونحن كثيرا ما نسمع الطفل الذى يمارس هواية العزف على آلة ما يقول :

– كفى ، لا رغبة لى فى مواصلة العزف !

وتقبّل الوالدين لمثل هذه العبارة ليس بسهل ولا هو يسير : بعضهم يغضب ويثور ، وبعضهم الآخر يتذكر أن كل محاولات تفرض على الصغار مصيره الفشل ! وهؤلاء يدركون أن ممارسة الطفل للموسيقى مسألة خاصة به ، هو وحده الذى يقرر : هل سيعزف أو لا يعزف ؟ إنه يتدرب عندما يشاء ويكف عندما يريد ! إن ممارسة الموسيقى واحدة من مسئوليات الطفل الخاصة به ! وتقول إحدى الأمهات :

– إنى أعددت هذا البيانو من أجل أن تتعلم عليه ابنتى .

– ابنتك ؟ أين هى ؟

– عندما تولد !

– ربما اختارت آلة أخرى . .

– لا ، لا ، البيانو هو أفضل الآلات الموسيقية للفتيات .

إن الأم هنا لا تعنيها مواهب طفلتها التى لم تولد بعد ، كل الذى يعنيها

تعوض ما فاتها حين فشلت هى فى العزف ، أو حُرِمته ! وهى لا تهتم كثيرا بالدموع التى تذرفها ابنتها أو الرفض الذى يبديه الابن حين تصر من جانبها على أن تفرح بهما وبمواهبهما فى العزف ! وهى تعلن بلا تحفظ ، وبلا أدنى تردد :

– الإنسان العصرى يجب أن يتذوق للموسيقى ويعزفها ، وقد اشترينا الآلات وندفع للمدرس والمعلم لتدريب البنت والولد ! ولا مجال أبدا لقبول أعذارهما السخيفة لتخلفهما فى ميدان نرفض أن يسبقنا فيه أبناء أوربا ! إننا ندفع الكثير من المال ، والأبناء أنفسهم عليهم أن يراعوا هذا ويشنفوا آذاننا بعزفهم !

وتحت وطأة مثل هذه الكلمات لن تتعلم الطفلة ولن يتدرب الطفل على عزف موسيقى ، ولن يحرزوا أبدا أى تقدم فى هذا المجال ! ومهما دفع الأبوان من مال ، ومهما كلفهما الأمر – فإن الخوف أن تكون النتيجة الفريدة لذلك هو إفساد العلاقة بين الآباء والأطفال !

إن ممارسة الأطفال للموسيقى لا يعدو الهدف منها أن تكون متنفسا للانفعالات والمشاعر ، حياة الطفل مملوءة بالنواهى والأوامر ، والتعليمات ، والقواعد التى يطلب السير عليها ، والتمزقات الكثيرة ، ومن الضرورى إزاء كل هذا أن تكون هناك أوقات هدوء واسترخاء ، والموسيقى تمنح الأبناء هذه اللحظات بشكل رائع : هى ليست معنى للغضب ، وتمنح شكلا للبهجة ، وهى خير مهدئ للتوتر ، ولكن الأم تريد غير هذا !

– يا عزيزى ، أريده أن يعزف .

– هل تريدينه « محمد عبد الوهاب » آخر؟ هل سيكون ملحنا ؟

– لا ، لا ، انظر إلى الطفل فى أوربا ! ما من ابن إلا يعرف العزف .

– هذا ثمرة أجيال متوالية من الاهتمام بالموسيقى .

– نحن لا نستطيع أن نصبر أجيالا ! بل لابد لأبنائنا من أن يتذوقوا ويتدربوا على عزف الموسيقى والاستماع إليها .

والواقع أن تناول الآباء للموسيقى على هذه الصورة لا ينجم عنه إلا مزيد للتمزق للصغار ! والنتيجة دائما مؤسفة ، ومعروفة سلفا : الطفل لن يتدرب على العزف ، بل سيكره الآلة الموسيقية ومعلمها والأم ، وينهى من هذه اللحظة علاقته بالموسيقى ! ودائما نجد فى بيوتنا بيانو مهجوراً يعلوه التراب ! أو (فلوت) لا ينبعث منه نغم ! أو (كمنجة) مقطوعة الأوتار ! وكلها تذكرنا بالفشل الكبير الذى أحرزناه خلال رحلة معاناة حاولنا خلالها أن نخلق من ابننا عازفا جيدا ، وتذكرنا بالآمال الضائعة فى مجالات بذلنا فيها جهودا ضائعة !

وتتساءل الأم :

– ماذا فعل ؟ ماذا كان علىّ أن أفعل لكى أنجح ؟

نقول : إن مهمة الأسرة أن تجد معلمة موسيقى ممتازة للابنة ، ومدرسا متفوقا للأبناء ، وذلك بعد أن تتكشف ميول هذا الابن الموسيقية ، وعلى المدرس أن يمسك بيده مفتاح اهتمام الطفل بالموسيقى ، وهى وهو – وحدهما – قادران على تفجير الطاقات والمواهب الكامنة . إن مهمة المعلمة والمدرس أن يكسبا ثقة الصغير واحترامهم ، وإذا لم ينجح فى ذلك فشل فى دروس الموسيقى ذاتها . الطفل لا يحب الموسيقى على يد معلم لا يحبه ! إن صوت المعلم له وقع أهم من وقع الموسيقى ذاتها ، وهناك قواعد لابد من الاتفاق عليها فى هذا المجال . مثل :

– هل يمكننى أن أختار له الآلة التى يعزف عليها !

– لا يمكن !

– أليس من حقى أن أختار مواعيد دروس الموسيقى ، وأن ألغيها إذا لم تسمح الظروف ؟

– لا ، وهذه أمور يتفق عليها بين الطفل ومعلمه ، ولا إلغاء للدرس إلا باتفاق مسبق .

– هل أتصل بالمعلم وألغى الموعد ؟

– لا ، هذه مهمة الصغير صاحب الشأن !

– وماذا عن مدة الدرس ؟

– مدته مسألة بين الطفل ومعلمه !

كل هذه الأمور تجعل من الموسيقى دروسا فى تحمل المسئولية . . وفى الاعتماد على النفس . . وهى تخلق لدى الطفل شعورا بأننا نهتم بمشاعره وأفكاره أكثر مما نهتم بالموسيقى والعزف ، ومن الضرورى ألا يعنف الطفل أو يؤنب بسبب تدربه على العزف ، إننا كثيرا ما نسمع الأم تقول لابنها :

– ألا تعرف كم دفعنا ثمنا لهذا البيانو ؟ إن أباك يشقى ويتعب من أجل النقود التى ندفعها لمعلم الموسيقى بلا فائدة ترتجى وبدون عائد !

مثل هذه الكلمات منفرة للطفل ، وتخلق لديه شعورا بالذنب ، وهى لا تثير محبته للموسيقى أو الاهتمام بها ! والحق أن الكثير من تعليقاتنا حول « أذن الطفل الموسيقية » أو « براعته فى العزف المنقطعة النظير » كثيرا ما تكون مثبطة للهمم ! لذا نرى أنه قد بات من الضرورى أن نبتعد عن عبارات مثل هذه :

– إنك يا عزيزى موهوب ! لو أنك استثمرت مواهبك لأصبحت « وزارًا » !

وتنتفخ أوداج الطفل ، وينتابه الغرور وقد يحدث رد فعل آخر معاكس ، ول الطفل لنفسه .

– ماذا سيحدث لو أننى لم أستثمر هذه المواهب ؟

إن الكثير من عبارات التشجيع قد لا يأتى بالنتيجة المرجوة ، بل قد يخلق

إحباطات لدى الطفل ، فقد يقول المعلم للصغير :

– جرب هذه النغمات ، ما أسهلها ! اعزف كما أعزف أنا (عزف على بيانو) .

وعندما لا ينجح الصغير فى تقليد معلمه لن يكون ذلك فى مصلحة العازف الناشئ ؛ فسرعان ما ينصرف عن التدرب ، فى حين أننا لو عرفنا مفتاح استثارة اهتمام الطفل لأمكننا أن نجعل محاولاته دائبة وناجحة ومستمرة بعد درس الموسيقى . إن الطفل يتشجع عن طريق التفاهم والتعاطف والمشاركة الوجدانية والتعرف على حقيقة مشكلاته والصعوبات التى تعترض سبيله ، ولا يثمر التشجيع بمجرد النصائح والمديح والحلول الجاهزة السريعة للمشكلات العارضة ! فهل لنا أن نعلم أكبادنا الموسيقى كفن رفيع المستوى بفن تربوى رفيع المستوى ؟ نرجو . .

مصروف الجيب

أكبادنا : مسئوليتنا ، ومن مسئوليتنا لهم أن ندربهم على المسئولية ، وفى بيوتنا نعطى أطفالنا مصروف الجيب ، كالثياب والطعام ، كواجب نلتزم به ؛ لأن الطفل فرد فى الأسرة . والواقع أن مصروف الجيب ليس مكافأة للصغير على سلوكه الطيب ، والحرمان منه ليس عقوبة توقع عليه إذا أساء ! إن مصروف الجيب فى واقع الأمر درس فى السلوك له أهدافه المحددة ، إنه يبغى تدريب الطفل على حسن استخدام النقود بممارسة الاختيار فى إنفاقها ، وتحمل مسئوليات التصرف فيها لذلك فإن الإشراف الكامل على إنفاقها يفسد الغرض منها . .

* * *

وتسأل أم :

– هل أترك ابنى ينفق كل مصروفه بلا تدخل من جانبى على الإطلاق ؟

– التدخل فى شأن خاص كهذا يثير مشكلات ، فلا تسمحى لنفسك به .

– ماذا أفعل إذن حتى لا يبدد ماله ، أو ينفقه فى أمور تضره ؟

– يجب أن تحدد ببساطة قنوات إنفاق مصروف الجيب قبل أن يحصل عليه الطفل ، بمعنى أن نذكر للصغير ما يجب أن يغطيه من هذا المصروف الخاص : شراء الحلوى ، والمجلة الخاصة به ولعب معينة ، . . إلخ .

ولابد كلما كبر الطفل ونما من أن يكبر مصروفه وينمو ؛ ليغطى مطالبه الإضافية مسئولياته مثل تذكرة دخول السينما أو المسرح ، ووسيلة المواصلات ، وغير لك .

وقبل أن نسترسل فى الحديث عن أسلوب إنفاق مصروف الجيب – يجدر بنا أن حث فى السن التى يجب علينا فيها أن نعطى للصغير ذلك المصروف : إن بعضا ترض عليه ، ويود لو اكتفى الصغير بما يمنح من حلوى ، ومأكولات ! وقد لت معلمة فى رياض الأطفال :

– أفلا بد من منح الصغير النقود ؟

– هذه من الضرورات القصوى ! عندى طفل فى الثالثة من عمره اكتشفت يبيع « السندوتش » ويشترى بثمنه الحلوى مع أن معه حلوى من البيت ! إن الصغير تفتنه مسألة الشراء فى ذاتها ، بل إننا نسمعه أحيانا يطلب قطعة يرة من النقود ، وعندما نسأله عما يريده ، قد نفاجأ بقوله :

– أريد أن أشترى !

– ماذا تشترى ؟

– أريد أن « أشترى » فقط ، أشترى أى شىء !

إن عملية الشراء فى ذاتها أصبحت لدى الصغير هدفا يسعى إليه ! إن مبدأ

منح الطفل مصروفا خاصا به أصبح شيئا مقررا ، ونحن نتوقع أن يسىء الصغير إنفاق نقوده ، وكثيرون منهم يبددون نقودهم فيما لا طائل منه فى ثوان ! ومن الضرورى مناقشة ذلك مع الصغير فى هدوء وروية (من التروى) للوصول إلى نتائج محققة ! وإذا لم تتحقق رغبتنا فى حسن توجيهه فعلينا أن نكتفى بقطع نقدية صغيرة يومية أو كل يومين ، وعلينا ألا ننسى أن المسألة فى واقعها تدريب للصغير على المسئولية والتصرف ؛ ومن ثم فكلما أسرعنا فى منحه المصروف أسبوعيا كلما كان ذلك أفضل إلى أن يتحمل مسئوليته شهريا بشرط ألا يتحول مصروف الجيب إلى سيف مسلط على الصغير ، فيمنح إياه ، ويمنع عنه ممارسة للضغط ، ولكى يطيع ، ويجب ألا يوقف فى لحظات الغضب على الصغير . كما يجب ألا يزاد فى فترات الرضا عنه ! وسؤال يطرح نفسه :

– ما قيمة المصروف المعقول الذى يجب أن نعطيه إياه ؟

– ليست هناك إجابة واحدة عن هذا السؤال : إنه – أى المصروف – لابد أن يناسب دائما ميزانية الأسرة دون النظر إلى مستوى الجيران أو الأقارب أو الأصدقاء !

. . ويجب ألا نُدفع إلى دفع مصروف أكبر من قدراتنا مهما كان السبب

– وماذا لو احتج ، أو اعترض الصغير ؟

– علينا أن نقول له : إننا نود لو أعطيناك أكثر ، لكن ميزانيتنا محدودة ! هذا أفضل بكثير من محاولة إقناعه بأنه ليس فى حاجة إلى مزيد من النقود

إن النقود ، مثل السلطة ، ليس أيسر من سوء استغلالها بسبب قلة الخبرة ومصروف الطفل يجب ألا يكون أكبر من قدرة الطفل على التصرف فيه ، ولا بمصروف قليل متواضع يسهل عليه إنفاقه بدون أن يتشتت بين أشياء كثيرة ! القلة القليلة تجعله محصورا فى أشياء محدودة محددة . . فلا يتيه بين ما يعرض عليه

ونكرر أنه من واجبنا أن ندرك أن مصروف الجيب ليس منحة ، وليس مكافأة !

– ستحصلين يا عزيزتى على مبلغ كبير لو ساعدت ماما فى غسل الأطباق ، وأنت لو أرْويت أشجار الحديقة يا عزيزى لك مصروف أكبر !

إننا بمثل هذه الأمور نعد أطفالنا لأن يعملوا الخير ، ويعاونوا ، ويمدوا أيديهم بعد ذلك يريدون أن يحصلوا على الثمن ! ويكون الرد : كم تدفعون ؟

ومرفوض أن يرفع الصغير مثل هذا الشعار إزاء ما يطلب منه ! إننا نربيه على حب الوطن والأرض ، على حب الأهل والإنسان ! . وقد يسألنا مقابلا لمثل هذه الأمور الحياتية ، ونفزع إذا بدرت من الصغير عبارة فى موقف كهذا ! على أننا قد نجد فى مصروف الجيب فرصة تعليمية طريفة : إنه قد يعطينا مجالا لتدريب الصغير على العد والحساب ؛ ومن أجل هذا من الأفضل أن نبدأ فى إعطاء الصغير مصروفه بداية التحاقه بالمدرسة ، ليتعلم عن طريقة المبادلة والطرح والجمع ! وقد يجد الصغير فى مصروف الجيب وسيلة لتعليم الصغير القدرة على الادخار .

– إنفاقك يجب أن يكون أقل دائما من مصروفك !

وسيطرح الصغير سؤالا : والباقى ماذا أفعل به ؟

إن علاقة الناس بالنقود تبدأ منذ الصغر ، إننا قد نحولهم إلى مكتنزين ، وإلى أشحاء إذا نحن رحنا نزرع فى نفوسهم حب « الدينار » كما أننا قد ندفع بهم إلى أن يكونوا مسرفين إذا لم ندربهم على الإنفاق كمسئولية ، وعلى الادخار كواجب !

. من يقول ، كفكاهة :

– تُصنع النقود الفضية مستديرة ، لتجرى وتختفى !

مطلوب منا أن نعلم الطفل أن النقود وسيلة ، وليست غاية فى ذاتها وأن ، إلى جلب النقود هو العمل والعرق ، ويجب أن نربى الأبناء على أن النقود كل شىء فى الحياة ! إن هناك الكثير لا تستطيع النقود أن تشتريه : هناك

أشياء لا تباع ، ولا تقدر بمال : مثل الفضيلة والشرف والصدق ! وهناك أيضا المسئولية وتحملها ، إننا لا نشترى «كمية» من المسئولية ، بل نتعلمها فى مثابرة خلال تعاملنا مع النقود والمال . ما من مسئولية أثقل من تدريب الصغار على معرفة الحجم الحقيق « للنقود » فى حياتنا وقيمتها فى مواجهة قيم أروع كحب الوطن والعلم والإنسان .

اختيار الأصدقاء

أكبادنا : فى حاجة إلى « الصحبة » ؛ فمن غير الممكن أن يكتفوا بصحبتنا نحن الكبار إنه من الضرورى أن يكون لهم أصدقاؤهم الذين يختارونهم بأنفسهم . وتسعدهم صحبتهم ، ويجدون فيها إشباعا وإمتاعا لعواطفهم ؟ ونحن – نظريا – نريد لأبنائنا أن ينتقوا وينتخبوا هؤلاء الأصدقاء ؛ لأننا نؤمن بالحرية ، ونرفض منطق فرض الأصحاب . والسؤال الذى يطرح نفسه :

– إلى أى حد نسمح للأطفال باختيار أصحابهم ؟

إننا غالباً ما نرتضى لهم أبناء أصدقائنا أو أقاربنا أو جيراننا أصحاباً لهم فنتصور دائماً أن أبناءنا أبرياء ، وملائكةٌ أطهارٌ ! على حين أن الآخرين شياطين ونفرض على الصغار أصدقاء بذاتهم وأصحابا بعينهم عن طريق التضييق على لا يرغب فيهم . وسؤال آخر :

– ما المقياس الذى نتخذه تقويما لقدرة أطفالنا على اختيار الأصحاب

قبل أن نجيب عن هذا السؤال : نود أن نقدم مشهدا من واحد من الأعمال الإنسانية التى قدمها الأدب العالمى عن العلاقة بين الآباء والأبناء : المشهد رواية للكاتب تنسى وليمز ، وهو بين أب يحتضر وبجانبه ابنه :

قال الأب فى صوت وئيد ضعيف :

– أبى كان فقيرا ، كنت بجانبه عمرى كله ، ولحظة بدأ يودع الدنيا نظر إلى وعلى وجهه ابتسامة فسرتها على أنها اعتذار ، لأنه لم يترك لى شيئا ، لذلك جمعت لك الكثير ، الملايين ، وأتركها لك !

– من قال لك يا أبى إنى أريد الملايين ؟ إننى كنت أريدك أنت ، أريدك صاحبا صديقا ، ثم لماذا فسرت ابتسامة أبيك على أنها اعتذار ! أبدا إنها كانت ابتسامة سعادة ، لأنه قضى حياة طويلة معك ، ولم يبددها كما بددتها أنت فى جمع المال !

إن هذا المشهد لم يغب عن ذهنى قط ، وأنا أناقش علاقة الآباء بالأبناء ، فالصداقة بينهما ضرورة حياتية ، وأهم بكثير من أن يقضى الأب عمره بحثا عن مال يتركه لابنه ! الابن قادر على أن يكسب المال ، لكنه ليس قادرا على أن يشترى أبا و صديقا أو رفيقا على درب الحياة ! ومنذ سن مبكرة يجب أن نشعر بصحبتنا له ، مانع من أن تضع الأم المشغولة طفلها معها فى الحجرة نفسها حتى لا يحرم صحبة ، على ألا تبالغ فى الاهتمام به !

وهناك من يرون تدريب الصغار على العزلة لكى تنمو فيهم روح الاستقلال لمسئولية ، ولكن ثبت أن الذين تفرض عليهم العزلة يتأخرون عن زملائهم ، فقدون القدرة على الاستجابة السريعة ، ولابد من توازن بين العزلة والرفقة ، ل أم :

– إنى أصبت بخيبة أمل كبيرة ، لأن ابنى يرفض أن يلعب مع من هم فى ، ! عمره عام ! وإذا لعبوا أتم لعبهم واتصف بالوخز والدفع والشد !

ولهذه الأم ألا تقلق . هذه السن طابعها اللعب المفضل ، والصحبة هنا ليست ية ولا هى بالضرورة ، وهى لا تمتع ولا تشبع إلا عندما يتجاوز الطفل هذه

المرحلة ، والطفل فى سنه المبكرة يفيد كثيرا من صحبة أقرانه فى العمر نفسه ، وهو يرتبط بزملائه فى الحضانة بشكل أكبر مما يرتبط بمن يلاقيهم مصادفة فى الحديقة ، على أن الاختيار من جانب الصغير قد يحمل دلائل هامة :

– إذا اختار الطفل من هم أصغر منه سنا ليصاحبهم ويلعب معهم فإنه يدلل بذلك على رغبته فى القيادة والسيطرة والزعامة ! وإذا اختار من هم أكبر منه فقد يكون ذلك إحساسا من جانبه بالحاجة إلى الحماية والمساندة !

والصحبة يجب أن تعود على الأطفال بالفائدة ، والتأثير الطيب المتبادل ، إن الأطفال فى حاجة إلى فرص للاتصال بعضهم ببعض ، ليدركوا الاختلافات فى الشخصيات التى يلاقونها ؛ ومن أجل هذا فإن الأطفال المنطوين يجب أن يصاحبوا آخرين متفتحين اجتماعيين تعاونيين ! والأطفال الذين يشعرون بالوجل والخوف يجب أن يصادقوا آخرين شجعانًا جسورين أقوياء وهكذا . . . إن التكامل هنا ضرورى ، إننا نسمع بعض الآباء والأمهات يشكون من أطفالهم ، ومن عدم قدرتهم على اللعب مع الآخرين :

– إنه نفور . . ذلك الولد . . لا صاحب له . . ولست أدرى السبب . . '

– لأنه لا يلاقى إلا من هم على شاكلته . . !

– هذا يجعله أكثر قدرة على التآلف معهم ؟

– بالعكس : إذا كان خجولا ، والتقى هو وخجول آخر فلا صداقة تربطهما

– إنه مشاكس ، وإذا التقى هو ومشاكس آخر تشاجرا ! فما الحل ؟

– الحل أن يلتقى هو وطفل هادئ يتعلم منه ، وإذا حاول أن يشاكسه يعتدى عليه فإن من الضرورى أن يتعلم الهادئ رد العدوان .

وقد نتساءل هنا : ألسنا نفرض على الصغير صحبته بهذا الأسلوب ؟ أ الاختيار هنا ؟ وكيف نحمل الطفل مسئولية الاختيار هنا ونحن لا نعرض عليه

يختار من بينهم ؟

إن الفرصة هنا ضيقة ، ومع ذلك فهى كافية ، كافية للهدف منها ألا وهو التدريب على الاختيار والانتقاء . ولا يقتصر الأمر على اختيار الصديق بل من الممكن أن يختار الطفل حيوانه الأليف الذى يربيه فى البيت !

– هل هو كلب أو قط ؟

– هل هو أسماك زينة فى حوض أو طيور فى قفص ؟

إن الصغير إذا اختار فعليه أن يتحمل مسئولية الاختيار ، والعناية بحيوانه أو لائره المفضل ، وهنا عليه أن يبدى حسن النية والاستعداد لا أكثر ولا أقل . إنه - يبدى الحاجة ، أو الرغبة أو الحب للحيوان أو الطائر ، ولكنه لا يجد فى نفسه ندرة على رعايته وتربيته وتغذيته ، إن هذه فوق طاقته وقدرته وحده ، وتحميله سئولية حياة مثل هذا الكائن تتجاوز حدود إمكانياته ؛ لذلك يجب أن نعتبر ود الحيوان الأليف أو الطائر فى البيت بمثابة عمل جديد وإضافى للأبوين ، إن غير يفيد كثيرا من وجود حيوان أليف ليلعب معه ويحبه ، ويشارك فى الاهتمام ، ولكن مسئوليته تقع على عاتق الكبار من أجل التفادى من التمزقات حساس بالذنب ، وهناك أشياء تصلح للصحبة أيضا :

– هل تريد أن يكون صديقك : الكمان أو البيانو أو العود ؟

– أتفضل الكاميرا على ريشة الرسام ؟

- ما رأيك فى الشطرنج ؟

ن الألعاب واللعب من الممكن أن تكون صديقا رائعا للطفل بجانب الصديق ى ، ولكنها ليست بديلا ؛ فسوف يظل « الإنسان » أفضل وأهم صديق ، ، وسوف يظل الطفل محتاجا لطفل آخر غير مكتف بإخوته وأبويه وأقاربه ، من الضرورى إبعاد الأطفال عن الذين يمارسون العنف ؛ فإن هؤلاء قد

يصبحون زعماء وأبطالا بل قدوة ، وذلك يحدث تأثيرا على الصغار ! من هذه السن يبدأ تكون العصابات والشلل ، وهى أمور نرفض أن نغرسها فى نفوس أكبادنا الذين نريد لهم مسئوليات إيجابية .

الاعتماد على النفس

أكبادنا : وهم يختارون أصدقاءهم – يتحملون ويتدربون على المسئولية . وإذا كنا قد تركنا لهم مسئولية الاختيار ، فإن علينا مسئولية التيقن من أنهم أحسنو الاختيار . . والأم أو الأب – الممتاز ، مثل المعلم الممتاز – هو الذى يجعل نفسه دائما « غير لازم » بالنسبة للطفل إنه يجد متعة فى العلاقات التى تثمر ، وتقود لأ يختار الأطفال بأنفسهم ، ويقرروا وفق إراداتهم ومشيئتهم ! وفى حوارنا ، الأطفال يجب أن نؤكد ثقتنا فى أنهم قادرون على اتخاذ قراراتهم بأنفسهم

* * *

والواقع أننا نكثر من استعمال كلمة : – لا ، لا ، لا .

ونحن نستخدمها ومرادفاتها مثل :

– ممنوع ، مرفوض . . .

وقائمة الممنوعات طويلة تمتد على مدى اليوم كله ؛ فقد يفتح الصغير عينيه إنه يسأل :

– هل ألبس هذا ؟

– لا . . .

– هل يمكننى أن أرجئ تناول إفطارى ؟

– لا . . .

– هل أستطيع أن أخرج إلى الحديقة أو السوق ؟

– لا . . .

وكل ممنوع مرغوب ، ونحن نخلق للصغار تمزقات كثيرة لشدة خوفنا عليهم وقلقنا من أجلهم !

ويجدر بنا أن نقلل ما نستطيع من هذا القلق ، وأن نخفف من الخوف ؛ فإن بناءنا كيانات حية من الممكن الاعتماد عليها وعلى قدرتها على التمييز ، ومن الأفضل أنما أن نتركهم ؛ ليجربوا بأنفسهم بدلا من أن نقتل فيهم روح المبادرة والمغامرة خويفهم وإثارة الرعب لديهم إزاء كل شيء يقومون عليه ! ولنكن على ثقة من ، تربيتهم لا تحتاج منا إلى كل هذه الأوامر والنواهي ! ليتنا معهم نفيد من كلمة !

– نعم . . نعم . . نعم .

نستخدمها مع مرادفاتها ، ومن الأفضل ألا نقولها هكذا مباشرة ، بل إن فى ورنا أن نعبر عنها بشكل يؤكد للطفل استقلاليته ، ولدينا عشرات العبارات تصلح لهذا مثل :

الأم : إذا كنت ترغب فى ذلك يا عزيزى . .

الأب : إذا كان ذلك رأيك فلا مانع مطلقا يا عزيزتى .

الأم : إن لك أن تقرر ما تشاء . . هو موضوعك أنت !

الأب : أنت وشأنك ، فأنت صاحب الأمر . .

لأم : إننى أقبل ما تشاء أنت .

ل هذه العبارات تفسح المجال أمام الصغير لكى يفكر ويقرر ، وينفذ ! وهذا ر رائع له على أن يتصرف ، ويتحمل مسئولية تصرفه إن كلمة نعم ، أو قد تعنى أن الأمر منحة منا ، والذى نراه أن ذلك حقه الطبيعى فى الحياة ، ن مُنح عقلا لابد أن يفكر به ، ومُنح قدرا من القدرة على التمييز يجب أن

يتصرف على ضوئه ! والسؤال الذى يواجهنا هنا :

– ما السبيل إلى تحقيق هذا مع تجنب تدليل الصغير؟ إنه يبكى لنحقق رغبته ، وإذا استجبنا لكل ما يطلب يتوقع الشىء نفسه عندما يكبر ! ويصاب بخيبة أمل إذا لم يتحقق هذا !

وهم يجدون صعوبة فى التكيف مع الناس والحياة ، وحرمانهم من شىء يشعرهم بالإخفاق ، الأمر الذى قد يدفع بهم للعدوان .

وقد يريد الآباء أن يدللوا أبناءهم كما دُللوا هم وقد يريدون تجنبهم المعاملة الصارمة التى عوملوا بها ؛ لذلك يسرفون فى التدليل ، الأمر الذى يجعل الأطفال يشبون غير مسئولين ! وربما يولع الآباء بأبنائهم فلا يرفضون لهم طلبا ، ويستسلمون لرغباتهم !

وعند الطرف الآخر نجد آباء يدربون أبناءهم على الطاعة العمياء بكل عنف وحزم . وإذا كان الطفل قوى العزيمة يصبح متمردا ، وإذا كان ضعيفا يتم الإذعان إلى درجة أن يُسلب كل شىء ! وربما استطاع أن ينفس عن نفسه بقضم أظفاره أو بعادة أخرى سيئة .

والتوازن بين الحزم والحب مطلوب من الآباء ، والتردد فى اتخاذ القرارا تجاههم والتذبذب – يحدث اهتزازات نفسية بعيدة المدى . ويثور النقاش ! ا تقول :

– إنك تدلله يوما ، وتعنف معه يوما !

– هذه هى التربية !

– لا ، لا ، يجب أن تثبت فى معاملتك له عند موقف محدد !

– كيف السبيل لهذا وهو يحسن ويسىء ؟ إذا أحسن شجعته ، وإذا عنفته !

– أنت تسامحه وتخفف عنه إذا كسر طبقا ، وفى مرة أخرى للسبب نفسه تعاقبه ! .

– حقا ؟ لم أنتبه إلى هذا من قبل ! ليتك استرعيت نظرى إلى هذا الموقف . .

– هو يتكرر منك ؛ ولكم أود ألا يحدث !

ونحن أيضا لا نريد أن يحدث ! فلا تردد ولا تذبذب ! الموقف الواحد له رد فعل واحد ، وليس معنى هذا أن نعنف على طول الخط ، أو نتساهل باستمرار ؛ فالأب على صواب حيث يقول : إن الطفل يحسن ويسىء ، فإذا أحسن شجعناه ، وإذا أساء فلا بد من النصح والإرشاد والحزم مع ترك مساحة حرة يتحرك فيها الصغير للتدرب على تحمل المسئولية ، إننا لن نحمل عنه عبء كل شىء ، ولن نعيش له العمر كله ، ولا رغبة لنا فى أن يشب شجرة لبلاب ! تسأل الأم :

– ماذا تعنى بأن يشب الطفل شجرة لبلاب ؟

– معناه أنه يشب نابتا متسلقا يعتمد على غيره !

– إنه مازال طفلا ، يجب أن يعتمد على غيره !

إنه مازال طفلا . . لو لم نتركه يتدرب على السير يقع ويقف – ما استطاع أن صلب طوله ، ويسير وحده ، الاعتماد على النفس ضرورة !

والأمر ليس موضع جدل : هل يعتمد الطفل علينا أو على نفسه ؟ إن توازنا طلوبا بين هذه وتلك : فبقدر ما يقل اعتماده علينا رويدا يزيد اعتماده على نفسه فق سنى عمره ، وبحسب نموه إلى أن يستقل بالكامل . ونحن فى شرقنا العربى جل طويلا استقلال الأبناء تحت شعار الترابط الأسرى ، الأمر الذى يؤجل سجهم الكامل !

الأب يرفض أن يستقل الابن ببيته ، أحيانا حتى بعد أن يتزوج الابن ! وهذا

يثير مشاكل عدة !

أيضا لا نقبل أن يستقل الفتى والفتاة – كما يحدث فى أوربا – فور وصولها سن السادسة عشرة أو الثامنة عشرة . . ويشكو الأب :

– هذا الولد كأنه يعيش فى جزيرة منعزلة ! كأنه روبنسون كروزو أو حى بن يقظان ! الحياة تعاون ، يجب أن يدرك هذا .

إن الأب يشكو انطواء ابنه ، وقد تشكو الأم من الشىء نفسه ، وقد تشكو لسبب آخر شكوى عكسية ، تقول :

– هذه الفتاة فردية النزعة شديدة التشبث برأيها ، تريد أن تقوم بكل العمل وحدها ، وتريدنا أن نرجع إليها فى كل صغيرة وكبيرة !

وهذه فتاة بلغ بها اعتدادها بنفسها حدا مرضيا : فهى تريد أن تكون محور الكون ومركز الوجود كله ! وتضخمت لديها الرغبة فى الاعتماد على النفس إلى درجة جعلت منها إنسانا مغرورة تظن نفسها قادرة على كل شىء ! إن لعبة التوازن بين الاعتماد على الآخرين والاعتماد على النفس هى أخطر ألعاب الحياة ، إنه كالسير على الحبال فى السيرك ، يجب أن نكون يقظين كل اليقظة لكل خطوة

النظام والانضباط

أكبادنا : فى حاجة ماسة للنظام ، ولا حاجة بنا إلى توضيح معنى النظ والانضباط ، ولا للكشف عن الحرية المسموح بها للأبناء ، والحدود التى يجب يقفوا عندها بها وإن كانت قد تتردد ما بين التزمت الشديد الذى نتوارثه ء الجدود ، وما بين الحرية المطلقة التى ينادى بها بعض ! ذلك أمر قد تختلف وجهات النظر .

ولكن سؤالا ملحا يطرح نفسه فى البداية ذلك هو :

– ما الفارق بين تناول جدودنا وتناولنا لقضية النظام والانضباط عند الأطفال ؟

إن الجدود – ولا شك – كانوا ينطلقون فى كل ما يفعلونه من نقطة واحدة ، هى : السلطة ! أما نحن فإننا فى كل تصرفاتنا نتردد ، ونتذبذب ! وإننا لنجد الجدود حتى حين الخطأ يتحركون فى ثقة بالنفس ، أما نحن فحتى فى الأمور السليمة نتحرك فى « شك » ! والسؤال :

– ما السر فى ترددنا هذا فى علاقتنا مع أبنائنا ؟ ومن أين ينبع هذا التردد ؟

لا شك أننا جميعا سمعنا عن (فرويد) ، والتحليل النفسى ، والآثار السيئة الناجمة عن الطفولة الشقية وغير السعيدة ؛ كما أننا نخاف أن نفسد على أبنائنا حياتهم المقبلة ، بل إننا نكرر ونردد كلمة باتت على ألسنتنا كأنما هى كلمة تحية أو ذكر تلك هى :

– العقد النفسية !

والرسالة التالية التى تلقيناها من إحدى الأمهات قد تخدمنا فى توضيح هذا الموقف ، تقول هذه الأم :

– إنه من الصعب علىّ أن أعبر عن نفسى – كلاما – فيما يختص بالأمور التى تثير فىّ تأثيرا عميقا ! قد أستطيع أن أنجح فى ذلك إذا كتبت ، وإذا أنا لم أستطع فسأقول شيئا ما فيما لا شك فيه أنكم ستعرفونه من بين السطور ! لقد شهدت الكثير من الندوات التى تتحدث عن الآباء والأبناء ، وكلها تقول : إن الآباء لا يتعمدون أبدا إيذاء أبنائهم عاطفيا أو نفسيا إلا أن الأمر يحدث نتيجة ظروف خارجة على إرادة ! إننى أبكى أحيانا نتيجة تصرفات أقوم بها أو كلمات أقولها بلا تفكير ، وتمنى دائما لو أننى لا أكررها ! إنها فعلا قد لا تتكرر ، لكن شيئا آخر يحدث

لا يقل سوءا عن ذلك الذى بكيت من أجله ! وأبكى من جديد تمزقاً ؛ لأنى أتصور أنى ربما أكون قد تسببت فى ضرر لطفلى يلازمه عمره كله !

إن أحدا لا يستطيع أبداً أن ينكر على هذه الأم إخلاصها العميق لأبنائها وإيثارها لهم على كل شىء فى الوجود ، ولكنها قد تكون أكثر قدرة على مساعدة هؤلاء الأبناء لو أنها كانت أقل إحساسا بالذنب ، وأكثر إحساسا بقدرتها على الحركة والتصرف ، ولنضرب مثلا يوضح الأمر :

إننا لن نشعر بالطمأنينة والأمان مع طبيب يبكى عند رؤيته ذراعا مكسورة . أو يغمى عليه عندما يبصر الدم نازفا من مصاب ! إننا نتوقع من الطبيب أن يواجه الأمر ببعض الحنان والشفقة والمواساة وبقدر كبير من « الاحتراف » وليس بالانفعال الذى يقوده للبكاء أو الانهيار ! وهكذا الآباء يجب أن يتعلموا كيف يتصرفون مع أبنائهم الناشئين بطريقة فيها « احتراف » و « خبرة » و « مقدرة » إننا إذا استطعنا أن نعاملهم دون انفعالات صاخبة وعواطف زائدة على الحد نجحنا فى حل كثير من مشاكل الانضباط ، أما إذا عاملناهم فى هستيريا فإننا سوف نخلق مشاكل خطيرة يعانى منها الآباء والأبناء لسنوات طويلة قادمة . لذلك لابد أن نضع بضع قضايا أمام الآباء والأمهات :

– إن الآباء يجب أن يحبوا أطفالهم ، لكنهم – أى الآباء أو الأمهات – يجب ألا يكونوا فى حاجة إلى أن يحبهم أبناؤهم فى كل لحظة من لحظات يومهم ، وإ هؤلاء الذين يريدون أبناءهم أن يكونوا مبررا لزواجهم أو امتدادا لوجودهم يخطئون ! إنهم جاءوا لذاتهم ؛ ليعيشوا !

– وإذا خاف الآباء أن يفقدوا حب أبنائهم فلا يرفضون لهم طلبا بما فى ذلك ما يمكن أن يخل بسيطرتهم على البيت والأسرة – فإنه نتيجة ذلك أن يسىء الأب استغلال جوع آبائهم لحبهم ، وسوف يصبح الأطفال مجموعة من الإرهابيين

يتحكمون فى خدم وعبيد قلقين ، مضطربين . كل ما يسعون إليه إرضاء سادتهم !

ومن هنا يأتى سؤال فى منتهى الأهمية أرجأنا طرحه فى البداية . وحان الآن بعد هذه المقدمة التى طالت بعض الشىء ، هذا السؤال هو :

– ما المسموح به ؟ وماذا يخرج عن حدود المسموح به فى هذا المجال ؟

إن حجر الزاوية فى التناول الجديد للنظام والانضباط يكمن فى التفرقة ما بين الرغبات والتصرفات . إننا نضع حدودا وقيودا للتصرفات والأفعال ، لكن يجب أن ندع المجال واسعا فسيحا أمام الرغبات والآمال ! وأغلب مشاكل الانضباط تأتى من مصدرين أو تتكون من شقين :

الأول : مشاعر غاضبة .

الآخر : تصرفات غاضبة .

وكل جانب من الجانبين يجب تناوله بشكل مختلف ! المشاعر لابد أن توضح ويعبر عنها ، أما التصرفات والأفعال فلابد من تحديدها وتوجيهها . بل أحيانا يكون تعبير الطفل عن الرغبات كافيا لتنقية الجو . إن حوارا من هذا اللون قد يدور ، حين تتوجه الأم إلى طفلها بقولها :

– يبدو أنك غاضب اليوم !

– نعم ، هذا صحيح .

– هل تحس بضيق شديد من شىء ما ؟

– فعلا . .

– يبدو أنك غاضب من شخص معين ؟

– نعم . . منك أنت يا أمى . . !

– لماذا لا تحدثنى عن سر غضبك ؟

– إنك لا تأخذيننى إلى نزهة بالخارج ، وقد صحبت أختى !

– هل هذا ما أغضبك ؟ ربما قلت فى نفسك : « أمى تحب شقيقتى أكثر مما تحبنى » ؟

– بالطبع قلت لنفسى : هذا !

– هل تشعر بهذا كثيرا ؟

– بكل تأكيد !

– من فضلك ! عندما تحس بهذا أرجو أن تأتى لتخبرنى به ، هل تعدنى ؟

– أعدك يا أمى . .

إننا بذلك ننفس عن المشاعر الغاضبة لدى الطفل . ومن المهم أن تهدأ مشاعرنا الصاخبة تجاهه . .

إن تقبل « الطفولة » من الأطفال أمر فى غاية الأهمية . وذلك يعنى أن قميص أبيض لطيفا يلبسه طفل هادئ لن يظل « أبيض نظيفا » لمدة طويلة ! وإن طفلا يجرى بدلا من أن يمشى أمر مألوف من الطفل الطبيعى ، وإن الشجرة زرعت لكى يتسلقها ، والمرآة وجدت من أجل أن يتطلع إليها ويخرج لسانه وهكذا . .

« إن تقبل « الطفولة » يعنى إدراكا عميقا بحقوق الأطفال فى أن تكون لهم مشاعرهم ورغباتهم ، وأن تكون لهم حريتهم المطلقة وغير المحدودة . كل المشاعر والتصورات . كل الأفكار والرغبات . كل الأحلام والتمنيات بغض النظر عن المحتوى – يجب أن تقبل وتحترم . ويجب أن يكون مسموحا بالتعبير عنها بوساطة رمزية مقبولة إن التخريب مرفوض وغير مسموح به ! وإذا ما حدث فعلى الآباء يعيدوا توجيهه لكى يمارس فى متنفسات أخرى وقنوات مختلفة . والأمثلة على ذلك كثيرة : إنها قد تكون فى رسم صور كاريكاتيرية انتقادية . إلقاء زهر الطاولة . فى الخشب ، تسجيل رغبات سخيفة على شريط تسجيل . تأليف أشعار ضاحكة ساذجة ، كتابة رواية بوليسية . . إلخ أما التساهل الزائد على الحد فسوف يقودنا

الموافقة على أمور تخرج على الحدود المقبولة . أما التسامح المقنن - أى الذى يدخل فى نطاق القانون - الصغير ثقة فى نفسه . والكبير إيمانا بقوته وشخصيته . كما يؤكد قدرة الطفل على التعبير عن نفسه وعن أفكاره وعن مشاعره !

أما التجاوز والتساهل فلابد أن ينجم عنهما القلق والتوتر والمطالبة المتزايدة لحقوق جديدة يصعب منحها ، بل يصعب منعها أيضا . .

الأطفال والطاعة

أكبادنا : فى حاجة إلى الانضباط والطاعة والنظام . وسبق أن قلنا : إن مشاكلنا معهم فى هذا المجال تأتى من مصدرين أو تتكون من شقين : الأول : المشاعر الغاضبة . . والآخر : التصرفات الغاضبة .

والمشاعر يمكن التنفيس عنها بالتعبير والكلمات ، لكن حدودا يجب أن توضع لتصرفات ، وما أكثر تلك الخواطر الغريبة التى تثيرنا من أبنائنا !

إن طفلا فى السادسة من عمره قد يقول :

- أريد أن أكسر هذه الساعة لأعرف ماذا بداخلها ؟ ولأعرف كيف تسير قاربها ؟

إن الأم هنا قد تغضب وتثور ، وهذا خطأ ، إنها يجب أن تتقبل حب استطلاع عند ابنها ، بل يجب أن تسعد بهذا الاتجاه العلمى المبكر نحو المعرفة ، فى لحظة التى لابد أن تجد سبيلا لكى تحول بين ابنها وبين هذا التصرف المخرب ، فى نعم كأن تقول له :

- إننى أعرف مدى شغفك وتطلعك إلى معرفة ما فى داخل الساعة ، ولكنها

لكى تظل تعمل لابد أن تبقى « مغلقة » كما هى ! تعال بنا نفتش ونبحث عن رسم أو صورة للعدد والآلات التى داخل الساعة ، لترى كيف هى ؟ ولتعرف كيف تعمل ؟

ولنا أن نتصور أما واجهت ابنا بالغضب لتطلعه إلى فتح الساعة أو كسرها ، إنها ولا شك ستزيده إصرارا على ذلك ، ولسوف يتحين أول فرصة يغيب عن بصر أمه لكى يحطم الساعة ! أما إذا جاوبته بهدوء فسيلتقيا ! لقد وجدت إحدى الأمهات ابنها يرسم « ويشخبط » على حائط الغرفة ، وكان أول رد فعل لهذا هو الغضب الشديد الذى ظهر على ملامحها إلى درجة أخافت الصغير وأرعبته ، وقد تمتد يدها له بالضرب ، ولكننا نتساءل عن التأثير الذى يحدث لو أنها قالت له :

– لا ، يا حبيبى ، ما كان يجب أن ترسم على الحائط ! إنه منظر لا يجعل نبتهج ، خذ هذه كراسة رسم ، أو بعض الأوراق لترسم بها (لوحات) نعلقها على الحائط ، أليس ذلك أفضل ؟

وتبدأ الأم فى اللحظة نفسها فى تنظيف الحائط ، وقد ينفعل الصغير نقول ، « قد » وربما عبر الطفل عن انفعاله هذا ، بعبارة صغيرة ، كأن يهمس

– ماما ، أنا أحبك يا ماما .

ونستطيع أن نلتقط صورة أخرى من منزل آخر وقع فيه الشىء نفسه ، الطفل : لقد رسم وخطط الجدران بالألوان ، فشوه شكلها ، فما كان من الأم أن صرخت :

– ما هذا الذى فعلته يا أحمق ؟ ماذا أصابك ؟ هل فقدت عقلك ؟ تستطيع أن تفهم أن هذا الذى صنعته بالجدران قد أفسدها ؟ إنك طفل مزعج فاسد ! لست أدرى ماذا أفعل بك ؟ ولا كيف أتصرف معك ؟ انتظر ! عند

يعود أبوك للبيت سأخبره ، لكى يكسر يديك اللتين رسمت بهما هذه الرسوم السخيفة !

مما لا شك فيه أن فارقا كبيرا بين ما حدث فى البيتين : إنه فارق ضخم كالفارق بين النظرة الجديدة لموضوع الانضباط ، والنظرة القديمة ! لقد كان الآباء فى الماضى يحاولون أن يوقفوا بكل عنف التصرفات غير المقبولة الصادرة عن أطفالهم دون أن يبحثوا دوافعهم إليها ، كانت القرارات والحدود توضع من خلال لحظات الغضب وفى أثناء الحوار الصاخب ، وكانت دوما مملوءة بالعنف والشتائم ، بل بالضرب ! وكانت الكلمات والأوامر تلقى فى وقت لا يمكن فيه الطفل أن يسمع ويصغى وإذا سمعها فهو لا يستجيب ، لأنها تعطى فى لحظات تحدٍّ ومقاومة من جانبه ! وكان الطفل يترك ولديه الشعور الحاد بأن عمله وتصرفه ليسا فقط موضع نقد ، بل إن شخصه أيضا وخلقه وإنسانيته موضع شك ! إنه ردىء سيئ .

والنظرة الجديدة لموضوع الطاعة ، والانضباط – تساعد الطفل وتعاونه فى عالى الشعور ، و خلق !

إن الآباء يجب أن يسمحوا لأطفالهم – تحت شروط سنناقشها فيما بعد – بأن يروا عن مشاعرهم فى حين يجب أن يحددوا ويرشدوا ويوجهوا تصرفاتهم ، الذات غير المقبول منها ، ويجب أن تكون هذه الحدود موضوعة بشكل يحفظ لآباء هيبتهم وللأبناء احترامهم ! إنها ليست حدودا حادة وقاسية ، بل هى حدود ربية وتعليمية وتستهدف بناء الشخصية ، وتطبق بدون عنف أو غضب .

إن تفهما لموقف الطفل لابد أن يكون فى الاعتبار ، ويجب أن يكون فى الحسبان الطفل يجب ألا يعاقب – مرتين – من أجل رغبته فى ممارسة الممنوع فكل ممنوع وب – ويكفى أن يُحرَّمَه . . ولا يضاف عقابٌ آخر فوق الحرمان ؛ فقد يزيده ، تشبثا بالممنوع .

إن الانضباط والنظام إذا استخدما على هذه الصورة فإن ذلك يقودنا إلى تقبل اختيارى من جانب الطفل لأوامرنا وتعليماتنا . وقد تتغير تصرفاته وأفعاله : أى أن محاولة الآباء فرض الانضباط قد تستبدل به محاولة من جانب الأبناء للانضباط والالتزام بدوافع داخلية ؛ إذ تتكون لدى الصغار بعض القيم التى يوضحها ويصنعها الآباء ، وإذا بها تصبح من تطلعات الأبناء . إن هؤلاء الصغار يرتاحون أكثر حين يعرفون الحدود المسموح بها للحركة والتصرف حتى إننا نستطيع أن نقول : إن تصرفات الأطفال تقع داخل مناطق ثلاث : كإشارات مرور خضراء وصفراء وحمراء :

– **المنطقة الخضراء** : هى التى تضم التصرفات المقبولة والمسموح بها والمرغوب فيها ، وهى منطقة نقول دائما فيها : نعم ، نقولها بارتياح .

– **المنطقة الصفراء** : هى منطقة تضم سلوكا ليس ممنوعا ، لكنه قد لا يكون موضع قبول من جانبنا لأسباب عدة منها :

أولا : إن السائق الذى توضع على سيارته كلمة (تعليم) لا يعاقب ، لا أخطأ فى إعطاء الإشارة تجاه اليمين ، ومضى هو إلى اليسار . . مثل هذه الأخطاء التى تقع من الذين يتعلمون من الممكن ، بل من المؤكد أنها مستقبلا سيتم تلافيها

ثانيا : إنه فى حالات خاصة ، وفى مواقف بعينها : كالمرض ، والحوادث والانتقال إلى بيت جديد ، والانفصال عن الأصدقاء وحدوث طلاق أو وفاة الأسرة – تحتاج هذه الحالات والمواقف إلى بعض التجاوزات لعبور الظروف القاسية ، وللمواءمة مع الجديد ، إننا قد نتقبل التجاوز فى مثل هذه المواقف استثنائية .

– **أما المنطقة الثالثة – وهى الحمراء** فهى محرمة ، ممنوعة ، مرفوضة ، و أن نقف فورا عندها ، وهى تشمل السلوك والتصرف الذى يضر الصحة و

مصلحة الأسرة اجتماعيا ، واقتصاديا ، ونفسيا ، وهى تضم أيضا تلك الأمور التى يمنعها القانون ، والقيم الأخلاقية ، والعرف الاجتماعى .

ومن الضرورى أن نكون حاسمين بالنسبة للمنطقة الحمراء المحرمة بقدر ما نكون تسامحين بالنسبة للمنطقة الخضراء . وعندما يسمح للطفل بتصرف يعلم جيدا أنه سبب منعه من ممارسته فإنه يعتبر ذلك حقا مكتسبا لا يمكن الرجوع فيه ، قال طفل لأمه :

– إنك لا تحبيننى !

– لماذا يا حبيبى ؟

– لأنك أصبحت تمنعيننى من التعلق بالسيارة من الخلف حين تمضى ببطء أمام البيت !

لقد سمحت الأم لطفلها بهذا الشىء ، وضاق حين منعته منه ! وأخرى كانت تضيق عليه وإذا بها تواجه من ابنها يوما يقول :

إنك لا تحبيننى

– لماذا يا عزيزى ؟

– سمحت لى بالتعلق بالسيارات من الخلف فى أثناء سيرها .

– لأنك كنت تستمتع بذلك !

– إن هذا كان يعرضنى للموت . لو أنك أحببتنى لمنعتينى من تعريض نفسى للخطر !

وهذا الشىء ينطبق على الكثير من الأمور : طفل يعتقد أن أباه أخطأ لأنه سمح له بالاحتفاظ بخنجر ! طفلٌ آخر ما عاد يحترم أبويه ، لأنهما لم يوقفا عبث أصدقائه الذى كسروها ! إن الأطفال الصغار لديهم عبقرية خاصة فى إدراك الممنوع ، وأن يساعدهم الآباء على السيطرة على النوازع والرغبات التى تنتابهم . إن

الآباء بوضعهم للحدود يساعدون الأطفال لا على وقف تصرفاتهم الخطرة فحسب ، بل إنها تعنى رسالة سرية تقول :

– لا تخف من ميولك ورغباتك ودوافعك ، إننى لن أدعك تذهب بعيدا إلى درجة الإضرار بنفسك ، إننى أقف لأحميك حتى من نفسك !

اطمئن أيها الحبيب !

القرارات الحاسمة

أكبادنا : فى حاجة إلى حدود يلتزمونها من أجل التدرب على الانضباط والنظام .. وخلال وضع هذه الحدود – كما فى كل العمليات التعليمية – تتوقف النتائج على المقدمات . .

* * *

إن الحدود توضع من أجل أن نقول للطفل فى وضوح كامل :

– إن سلوكا بعينه وتصرفا بذاته غير مقبول .

– وإن هناك سلوكا آخر ، وتصرفا ثانيا ، بديلا ومسموحا به !

والأمثلة على ذلك كثيرة ، وإن كانت المقدمة غامضة بعض الشىء ، نستطيع أن نقول للطفل :

– إن إلقاء الأطباق والأكواب غير مسموح به .

– إن إلقاء الكرة ممكن .

وبأسلوب آخر : الأكواب والأطباق لم توجد لتلقى ، والكرة وجدت لـ ترمى ، ومن أجل اللعب بها . أما أن نحرم إلقاء الأشياء على الإطلاق فأمر سليم ؛ لأن هناك فعلا ما وجد من أجل هذا . إن هذا هو استخدامه الطبيعى ،

أن هذا يجب ألا يجعلنا نعطى تعليمات جزئية ، أو متذبذبة : بمعنى أنه يجب أن كون هناك تمييز بين رش الورد بالماء ، ورش الشقيقة به ! وهناك أمر يجب أن كون حاسما . إذ ليس مقبولا أن نقول للطفل :

– إن فى استطاعتك أن ترش شقيقتك بالماء بشرط ألا تبتل كل ثيابها .

هذا أمر غير جائز ، لأننا نترك للصغير تقدير « درجة » أو « حد » استخدام الماء العبث مع شقيقته ، وهكذا تدخل فى أمور تقديرية يمكن الاختلاف عليها ، جعل الصغير فى هذا الموقف لا يحدد الصواب من الخطأ ، إن القرار يجب أن كون حاسما ، والرسالة يجب أن تكون واضحة .

– هذا التصرف ممنوع ، يجب أن يوقف .

وعندما تكون الأم غير قادرة على تبين ما يجب عليها أن تفعله – فعليها أن تهدأ تسكن ، وتفكر إلى أن تصل إلى قرار واضح . وفى قضية وضع الحدود بين جب وما لا يجب يضيع المتردد المذبذب فى مناقشات طويلة لا طائل منها ، ع القرارات والأوامر بشكل دائم ومستمر وحاد يخلق لدى الأطفال حالة من دى ، وينتج عنها معارك مستمرة بين إرادات متصارعة وليست متعاونة ، معارك بلا انتظار ، ولا يمكن أبدا أن تحسم لمصلحة طرف من الطرفين ؟ إن د يجب أن توضع لتقلل من الشد والجذب ، ولتؤكد سلطة الآباء بلا توبيخ تائم للأبناء ، ومحاولة حل المشاكل بضربة واحدة تلقى مقاومة حادة ولدينا ؛ لممارسة غير مرغوب فيها فى هذا المجال : كانت الصغيرة ابنة السنين الثمانى فى كبير مع أمها ، سألتها الابنة :

لقد اخترت ثلاث لعب ، هل تشترينها لى يا أمى ؟

لعب ؟ إن عندك منها الكثير ، إنك دائما تريدين أن تشترى كل ما يقع عليه ! حان الوقت لكى تفهمى أنه لا يمكن تحقيق كل ما ترغبين فيه ، إنك

لم تعودى صغيرة !

وبعد لحظات أدركت الأم أنها كانت عنيفة جدا مع الابنة لسبب خارج عز الإرادة ، وهو أنها قد اشترت بكل ما معها من نقود احتياجاتها من المتجر وأحست بالحرج إزاء طلب الابنة فانفجرت فيها بهذه الكلمات ، وحاولت الأم أ تصلح الموقف ، وتصالح الطفلة ، وترشوها ببعض الحلوى التى تحبها ، وإ بالصغيرة وقد اكفهر وجهها ترفض الرشوة ! والواقع أنه كان يجدر بالأم أ تستبدل بهذه العبارات الغاضبة شيئا يرضى الصغيرة ويخفف عنها الرفض مثلا

– إنك ترغبين – فيما يبدو – فى نقل كل ما فى المتجر من لعب إلى البيت لكن . . آسفة . . لم يتبق اليوم معى من النقود ما يكفى شراء لعبة جديدة ، لكـ سأعطيك قطعة نقود لشراء بالون أو حلوى اختارى : هل تشترين البالون الحلوى ؟

وقد تختار الصغيرة الحلوى التى رفضتها فى المرة الأولى ؛ لأننا نقلنا القضية اختيار بين شيئين وحوّلنا نظرها عن موضوع اللعب بذكاء . . وقد تبكى الصـ من أجل إجبار الأم على شراء اللعبة ، وهنا يستوجب الأمر الرفض من جـ الأم ، وهناك أربع طرق لكى نحدد المواقف بلا استثارة للأطفال ، وهى ت كالتالى :

إن الأب يدرك رغبة الصغير فى الشىء ، لذلك يعززها بقوله :

– إننى أعرف جيدا أنك تريد أن تذهب إلى السينما .

ويعود الأب فيوضح بهدوء وفى عبارة رقيقة الحدود التى يلتزمون : البيت :

– ولكنك تعرف يا عزيزى أن القاعدة عندنا أنه « لا سينما فى المدرسة ! » .

ويرجع الأب ليشير إلى الوسيلة أو الوسائل التى يمكن تحقيق رغبة الصغير عن طريقها :

– إنك تستطيع بلا شك الذهاب إلى السينما يوم الخميس أو يوم الجمعة .

ويعاون الأب الابن على أن يهدأ ولا يناقش تلك المناقشات التى تثور عند إلقاء لأوامر فيقول :

– يبدو أنك لا ترضى عن هذه القاعدة وعن هذا المبدأ ، وربما عندما تكبر يصبح لك بيت تستطيع أن تغير هذه القاعدة وتلغى هذا المبدأ !

وليس من الضرورى بالطبع أن يكون هذا هو الأسلوب المتكرر فى مثل هذه ظروف ، أحيانا نضع الحدود ونعبر عن المشاعر ، فمثلا عندما نجد الصغير يهدد ذف حجر على شقيقه ، ساعتها تستطيع الأم بسرعة أن تغير من الموقف قائلة :

– لا ، لا تقذف به شقيقك . بل ألق به تجاه الشجرة .

ومن الأفضل أن تسترعى نظره وتشير بيدها إلى الشجرة ، وبعدها تبدأ الأم فى يغ مشاعر الصغير بكلمات أخرى مثل :

– الإنسان له أن يغضب من شقيقه ما شاء له الغضب ، بل قد يضيق به إلى حة الكراهية ! لا ضرر فى هذا مؤقتا ، ويمكنه ساعتئذ إلقاء الحجر على الشجرة ا هى شقيقه ! إنه يستطيع أن يرسمه على الورق فى صورة مضحكة ، ويلصق ورة على الشجرة ويقذفها بالحجر ! لأن ذلك لن يسيل دمها !

إن اللهجة التى تقال بها مثل هذه العبارات يجب ألا يكون فيها أى تحد لمشاعر ير الذى يكاد ينفجر بها ، ولا أى تحد لاحترامه لذاته ونفسه ، ومن الأفضل سع الحدود عن طريق ضمير المخاطب ، بل من الأفضل أن نستخدم عبارات للمجهول ، مثل عبارة تقول :

– « لا سينما » فى أيام المدرسة .

هذه العبارة تثير ضيقا أقل ، وتوترا أبسط من عبارة :

– إنك تعرف أنه من المستحيل أن تذهب للسينما فى أيام المدرسة ، ممنوع !

وعبارة ثانية تقول :

– حان وقت النوم . . تصبح على خير !

خير من عبارة تقول .

– أنت أصغر من أن تسهر كل هذا ، قم إلى سريرك !

وعبارة ثالثة مثل :

– كفى شجارا وصراخا بعضكما البعض !

أفضل من عبارة تقول :

– من الأفضل أن تكفا عن الشجار والصراخ !

إن الحدود تصبح مقبولة أكثر حين نشير بوضوح إلى مهمة الشىء موضوع الحديث .

– هذا المقعد للجلوس عليه .

ذلك أحسن بكثير من :

– لا تقف على المقعد .

وأيضا ، نجد أنه من الأحسن القول :

– هذه المكعبات لتلعب بها وتبنى البيوت . . وذلك بدلا من .

– لا تلق بهذه المكعبات ، لا أسمح لك بهذا ، إنه خطر جدا .

واضح أن تغيير كلمة بكلمة يحدث الكثير ، واختيارنا للكلمات فى تعليم الانضباط والنظام يعنى أننا منضبطون ، ويعنى أننا قدوة . .

نشاط الأطفال

أكبادنا : يحتاجون إلى الانضباط ، والتدرب على التزام النظام . . وأكثر مشاكل الانضباط التى تواجهنا مع الأطفال ناتجة عن الرغبة فى وضع بعض القيود والحدود لنشاطهم الجسمانى .

لذلك نسمع على مدى ساعات اليوم أمهات وآباء يهتفون :

– لا تجر ، ألا تستطيع أن تمشى مثل بقية عباد الله ؟

– كف عن هذا القفز ، اجلس هادئا مثل الآدميين !

– لماذا تقف أو تقفز على قدم واحدة مع أن الله خلق لك قدمين ؟

– هل جعل لك قدمين ، ولم يجعل لك « مخا » تفكر به ؟

– سوف تسقط ، ويدق عنقك إذا لم تكف عن هذا الذى تفعله !

والواقع أن نشاطات الأطفال يجب ألا تقيد بشكل مطلق ، لأن هذا النشاط يرى من أجل النمو الجسمانى والعقلى للطفل ، إنهم فى حاجة إلى الجرى والقفز وغير ذلك ، وقلقنا على (أثاث) البيوت يجب ألا يتجاوز اهتمامنا بصحة الطفل ؛ فإن كبت نشاط الطفل ينتج عنه توتر عاطفى يعبر عنه الصغير أحيانا بعنف والتصرف العشوائى ! ومن الضرورى أن نوجد للصغير مجالا لنشاطاته ؛

فإن ذلك يعتبر سبيلا لتعليمه الانضباط والتدرب على النظام ، ويريح الآباء أنفسهم ؛ إن الأبناء يستجيبون للهجة الودود الصادقة ، لكن السؤال الذى يطرح نفسه :

– ما العمل عندما يخرج الأبناء على القاعدة ولا يستجيبون للأوامر ، ويتخطون الحدود ؟ .

إن الإجابة التى يراها التربويون عن هذا السؤال واضحة جلية تقول :

– على الآباء أن يستجيبوا لدورهم فى حنان ورقة ككبار وأسوياء ، يجب أن يتصرفوا فى حزم ، ويجب ألا يدخلوا أو يجرهم الأطفال إلى نقاش حول عدالة هذ الحدود أو ظلمها لهم ، ويجب ألا يطيلوا فى تبرير وجودها ، ليس من الضرورى أ نشرح بالتفصيل للصغير : لماذا يجب عليه ألا يضرب شقيقه ؟ فقط عليه أن يعلم لا عدوان.أيضا : لسنا مطالبين بأن نفهم الطفل لماذا يجب عليه ألا يكسر زجا النافذة ؟ ، فقط عليه أن يعرف ويلتزم بأمرنا . زجاج النافذة لم يوضع ليكسر قاعدة يجب ألا تكسر ، وعندما يخرج الطفل عن الحدود يزداد قلقه ؛ لأنه يتوة العقاب ، ويجب ألا يزيد الأب من قلق الطفل فى هذه اللحظة بالذات ؛ إنه إ تكلم طويلا فسيؤكد ضعفه فى وقت يجب أن يمثل القوة ، إن الطفل فى مثل ه اللحظات يحتاج إلى الكبير يعتمد عليه لكى يساعده فى السيطرة على دوافعه د أن يفقد ماء وجهه ! وهذا مثل يوضح لونا من ألوان تخطى الحدود ، تقول الأم

– يبدو أنك لن تسكت إلا إذا رأيتنى أصرخ فيك ! حسنا (وتصرخ) ك عن هذا وإلا فإنى سأنهال عليك ضربا حتى أمزق لحمك ! إذا ألقيت بشىء آ فسألقى بك على الأرض ، و . . .

والحق أنه بدلا من هذا التهديد والوعيد كان يمكن الأم أن تعبر عن غض

الحقيق بأسلوب وطريقة أفضل ، كان فى استطاعتها أن تقول :

– هذا الذى تفعله يضايقنى ، يغضبنى ، يثيرنى ، هذه الأشياء لم توجد تلق !.

إن الآباء وهم يفرضون الحدود ، ويضعون القوانين التى يجب ألا تخرق عليهم ن يكونوا يقظين إلا أن عليهم ألا يخلقوا معارك وصراعات بين إرادات مختلفة ، نول طفلة لأبيها :

– إننى سعيدة هنا ، لا أريد أن أعود الآن ، سأبقى ساعة أخرى هنا فى نادى .

– تقولين إنك ستبقين ساعة أخرى هنا ، وأنا أقول . إنك لن تبقى !

هذا الموقف قد يقود إلى إحدى نتيجتين كلتاهما غير مرغوب فيها : هزيمة طفلة ، أو هزيمة للأب ! إن التركيز هنا يجب أن يكون على رغبة الطفلة فى البقاء لا من الاهتمام بإصرارها على تحدى سلطة الأب ، إن عليه أن يقول :

– أعرف أنك سعيدة هنا ، وأعرف أنك تتمنين أن تبقى مدة أطول ، عشر عات مثلا ، لكن حان الوقت . علينا أن نذهب الآن !

وإذا استمرت الطفلة على عنادها يستطيع الأب أن يأخذ بيدها فى رقة ويمضى ها إلى خارج النادى مع الأطفال الصغار ! التصرف والفعل يكون أكثر فاعلية الكلمات والقول . ويحاول الطفل أحيانا أن يتملص أو يدفع يد أبيه . . والقانون بوى هنا « لا » إنه لا يسمح أبدا بدفع الأب والأم ، أو الأيدى تجاههما فى أى لة من أى لون . إن ذلك ضار بالطرفين ، يملأ الأب غضبًاوكراهية ، ويجعل غير قلقا خائفا من العقوبة ، فضلا عن الإحساس العميق بالذنب . وبعض هات يقلن للأطفال فى الثالثة أو الرابعة :

– لا ، يا عزيزى ، ابتعد عن شعرى ووجهى ، يمكنك أن تضرب يدى

برقة ، هكذا ! . وهذا مرفوض ، يجب على الأم أن توقف فورا هذا الاعتداء والعدوان من جانب الطفل قائلة :

– لا ، لن أسمح لك أبدا بمد يدك علىّ إطلاقا ! إذا أغضبك شيء فعليك أن تذكره فى كلمات بسيطة ، ودون أن تحرك يديك مطلقا إنه تحت أى ظروف يجب ألا يسمح الآباء للأبناء بمد اليد ، فالأم إذ سمحت لابنها بمداعبتها بهذا الأسلوب

– اضرب يدى ، لكن لا تجعلنى أتألم !

فإنها بهذا تضعه أمام تصرف لا يمكن أن يكون له مقياس ولا ترمومتر ، قد لا يعرف ما يؤلم مما لا يؤلم ! إنها مسألة تقديرية لا يمكن تركها لحكمة الشخص . وقد يحاول أن يجرب ويمتحن ضرباته ، ليعرف أيها يكفى المداعبة ، وأيها يؤلم ؟ . وهنا يثور سؤال آخر :

– وماذا عن ضرب الآباء للأطفال ؟

الضرب – برغم سخافته – وسيلة شائعة للتأثير على الأطفال . ويبقى الضرب هو الوسيلة الأخيرة التى يلجأ إليها الآباء بعد أن تفشل الكلمات الطيبة ، وبعد عدم نجاح الوعيد والتهديد ، وهو يأتى – أى الضرب – بدون خطة مسبقة وبلا سبق إصرار ، يأتى ثمرة غضب مفاجئ نصل إليه تدريجاً أو فجأة .

والضرب قد يصلح للحظة الراهنة : يخفف توتر الأب ، ويجعل الطفل يستجيب ويطيع على الأقل لبعض الوقت . إن الضرب كما يقول بعض الآباء

– إنه ينقى الجو ويحل المشكلة !

وإذا كان الضرب مؤثرا بهذه الصورة فلماذا نجد لدينا الكثير من عدم الارتياح تجاهه ؟

إننا لا نستطيع أن نسكت شكوكنا تجاه جدوى الضرب ! إنه لا يفيد على المدى الطويل ! إننا نحرج إذ نستخدم القوة ، ونسأل أنفسنا دائما :

هل من وسيلة أخرى لحل المشاكل ؟

وأول سلبيات الضرب أنه يلقن الأطفال درسا خاطئا فى حل المشاكل ! إنه بساطه يقول لهم : عندما تغضبون . اضربوا !

إننا نلجأ لهذا بدلا من أن نجد وسيلة أكثر حضارة وتمدينا وإنسانية للتنفيس عن شاعرنا ! إننا نلقن صغارنا أسلوب (الغابة) فضلا عن أن أسوأ ما فى الضرب أنه - يوقف نمو ضمير الطفل ، إنه يخفف عنه عبء الإحساس بالذنب لخطئه ، لإحساس بالذنب أفضل سبيل للتربية ، حتى لا يتكرر الخطأ ! إنه عندما يدفع ن غلطته لا مانع من تكرارها ، إنهم يسوون حساباتهم أولا فأولا ، إن الضرب مح لهم بالخطأ مادامو يدفعون أسبوعيا أو شهريا مقابل هذا الخطأ ، بل إن س الآباء يقولونها صراحة :

– إنهم يبدون أحيانا وكأنما يطالبوننا بأن نعاقبهم !

إن الطفل الذى يبحث عن العقاب يحتاج إلى مساعدة على التغلب على ساسه بالذنب وعلى غضبه وعدم رضائه عن نفسه ومناقشة الأخطاء أفضل فى المجال للتنفيس والتكفير عنها دون أن ينفجر بها المرجل ، ذلك يفيد الآباء ناء ، ويلغى العقوبة البدنية للأبد .

الثقة بالصغير وقدرته

كبادنا : حرمتهم الحضارة بقدر ما أعطتهم ، وكما يوزع المخرج الأدوار على ن أعطت الحضارة الحديثة الآباء دور « مفسد البهجة » و « قاتل المسرات » يضطر على مدى اليوم كله إلى حرمان الأطفال من أشياء كثيرة بهيجة م ، وتقفز كلمة « لا » على ألسنة الأمهات والآباء لكى تحرم الصغار آلاف لصغيرة التى يتطلعون إليها بكل لهفة !

– لا تمص إصبعك !
– لا تمد يدك إلى هذه الحلوى !
– لا تحدث ضجة ، ولا تلعب بهذه اللعبة !

إن الحضارة بالنسبة للطفل باردة وثقيلة وقاسية القلب متحجرة : فبدلا من أ
يرضع الطفل صدر أمه الحنون أعطت الحضارة الرضيع زجاجة لبن ! وبدلا م
الذراعين اللذين يحيطانه صنعت له فراشا من صوف ! وبدلا من الانطلا
الطبيعية الحلوة تطالبهم بضبط النفس ! لقد وضعت له قيودا كثيرة من أجل أ
يصبح إنسانا اجتماعيا ، لكن الآباء والأمهات يتجاوزون المعقول ، ويبالغون ح
إنهم يقومون بدور الشرطى حارس الحضارة والحياة الاجتماعية ! ولا ينبغى ه
حتى لا يتسببوا فى غرس كراهية وعداوة من الممكن تجنبها . إن الأم – يجب
تتفادى من القيام بدور الموقظ لطفلها يوميا للذهاب للمدرسة :
– اصح . . لقد تأخرت . . قم . . بسرعة (للطفل)
– اصحى ، استيقظى . . هيا . . موعد المدرسة (للبنت)
هذه النداءات الصباحية التى تقال فيها عبارة :
– صباح الخير !

تقال هذه العبارة مرة برقة وحنان ، ومرات فى لوم وتقريع ، والطفل يغ
بالأم التى تقطع كل صباح نومه ، وتفسد أحلامه ، وتريده ليترك فراشه الوثير
شاق ! إن هذا الطفل يخاف لحظة دخول أمه إلى غرفته وقيامها بجذبه من
الأغطية ، ويخاف صوتها الذى يدق كالأجراس !
– هيا . . هل ستنام للظهر ؟ إنك ترهقنى كل صباح . . صباح الخير ، ق
وخير لكل الأطراف أن تقوم « الساعة المنبهة » بهذا الدور بدلا عن ا

لمنبهة ! » كانت سلمى الصغيرة – وعمرها ٨ سنوات – تجد صعوبة فى الاستيقاظ ترك الفراش ، وهى تحاول كل يوم أن تبقى بضع دقائق أخرى فى فراشها ، وتحاول لأم مرة باللين ومرة بالشدة دفعها إلى القيام . . ولكن الصغيرة تظل على حالها : طيئة فى قيامها ، عابسة عند إفطارها ، متأخرة عن موعد مدرستها ! وكانت هذه ناقشات اليومية الطويلة تتسبب فى ضيق الأم وتعبها على مدى اليوم كله ، وتحسن وقف وتغير تماما حين قدمت الأم إلى ابنتها ساعة منبهة أنيقة جميلة ، فرحت بها ابنة ، وسعدت وهى تقرأ الإهداء عليها :

– إلى العزيزة سلمى التى لا تحب أن يوقظها الآخرون فى الصباح الباكر . وهى تطيع بهذه الساعة المنبهة أن تكون سيدة نفسها وسيدة وقتها ، وتصحو فى الوقت ى تراه مناسبا !

سألت سلمى – وهى تمسك بالساعة الجديدة الأنيقة – الأم وهى تبتسم . .

–كيف عرفت يا أمى أنى لا أحب لأحد أن يوقظنى ؟

– لقد استنتجت هذا . .

وعندما دقت الساعة فى صباح اليوم التالى لتنبه سلمى إلى موعد الاستيقاظ – ، الأم لابنتها !

– إن الوقت مازال مبكرا يا عزيزتى ، إن لك أن تنامى بضع دقائق أخرى !

– لا ، لا ، قد أتأخر عن المدرسة .

قفزت سلمى من فراشها ، وإلى حد ما حلت المشكلة !

يجدر بنا ألا نصف الطفل الذى لا يستيقظ من نومه بسهولة : بأنه كسول ! صغار الذين لا يغادرون فراشهم بسرعة لا تجدى معهم السخرية واللوم ف ، وبدلا من الدخول معهم فى معارك يومية متصلة يجب أن نتركهم ون بهذه الدقائق الخمس الذهبية ، وببعض أحلام اليقظة ، وهذا يتيسر

بضبط الساعة المنبهة على موعد مبكر ، ويجب أن تتسم عباراتنا بالحنان أكثر مما تتصف بالعنف والتقريع . ولابد أن تشحن بالعطف بدلا من الغضب والتوبيخ :

– يبدو أنه من الصعب أن تغادر فراشك مبكرا اليوم بسبب سهر الأمس !

– ما أمتع أن تبقى فى فراشك مع النوم اللذيذ والأحلام الممتعة ! لكن . .

– تستطيع أن تتقلب فى سريرك خمس دقائق أخرى !

مثل هذه العبارات تجعل الصباح بهيجا ومشرقا . وتخلق جوا من الدفء والمودة ، فى حين يحدث العكس إذا ما قيلت عبارات أخرى مثل :

– قم أيها الكسلان !

– هيا ، انزل فورا من سريرك

– أما زلت فى فراشك أيها « التنبل » !

وهناك عبارات أخرى تقال فى مثل هذه المناسبة الصباحية قد تؤتى أثرا عكس ما نرجو :

– أما زلت فى فراشك ؟ هل أنت مريض ؟

– ماذا بك ؟ هل تشعر بصداع أو احتقان فى الزور ؟ أرنى لسانك .

هذه التساؤلات القلقة توحى للصغير بأن حنان أمه سيزداد لو أنه مرض ، ادعى المرض ، وقد يتصور أن أمه سيخيب ظنها فيه لو أنه بقى فى فراشه وهو سليم فيبتكر أشياء وهمية تجعله يظل فى مكانه لكى يرضيها وما أكثر ما تأتى نصائح بعكس المطلوب منها ، مثلا :

– هيا أسرع .

كثيرا ما نلحظ بعد هذا الأمر مزيدا من التباطؤ والتكاسل ، لأن الطفل يضيق بالأوامر والتعليمات ، ولا يجد أمامه سبيلا لمحاربتها إلا بالتحدى ! ويمكننا بدلا الإلحاح على الصغير بالإسراع أن نحدد له فترة زمنية بذاتها ، لكى يغادر فراش

تعد خلالها . إن ذلك يخلف عنده لونا من التحدى للزمن ذاته . . يريد أن ينجز
مل فى وقت محدود ، لذلك يتعجل أموره بالذات حين نقول له :
– أمامك عشر دقائق لتلبس !
– الفيلم يبدأ الساعة السادسة ، الآن هى الخامسة والربع .
– سنقدم العشاء فى الثامنة . أى بعد ربع ساعة فقط . . استعد . .
– الضيوف سيكونون هنا خلال عشر دقائق ، جهز نفسك لاستقبالهم .
مثل هذه العبارات تعنى فى واقع الأمر أننا نثق فى الصغير وفى قدرته على أداء
و مطلوب منه فى الوقت المحدد ، لذلك نراه يريد أن يكون عند حسن ظننا ،
ات حين نستقبل يومنا كل صباح .
ولنا أن نستعرض يوما فى حياة طفل . ماذا لو كانت البداية سيئة ؟ إننا نريدها
بهيجة ؛ ولذلك فمن الضرورى أن يكون الإفطار وجبة بلا نصائح أو مواعظ
سفة أو مثل ! إنها آخر لحظات له فى المنزل قبل مغادرته إياه إلى المدرسة ،
، أن يشيع جو حنان وبسمة حلوة خلالها ، وعلى كل فالإفطار وجبة غير
؛ للحديث الطويل والحوار الممتد ، الصغار ليسوا بكل طاقتهم ، مازالت آثار
عالقة فى جفونهم ، وأقل شىء فى هذه اللحظة يثيرهم ! وقد أسلفنا الحديث
طعام على أن وجبة الصباح يجب كما قلنا أن تكون وجبة طعام وليست وجبة
، وخاصة أنه مازالت لدينا معركة ارتداء الملابس من أجل المدرسة
مداد للخروج .

موقفنا من معركة ارتداء الملابس

بادنا : مع كل صباح يكلفوننا شططا ، منذ لحظة الكفاح من أجل
م ، والنضال لكى يتناولوا إفطارهم ، وتأتى بعد ذلك معركة ارتداء

الملابس ورباط الحذاء . . والأم تنهض بعبء ضخم فى كل هذا : توقظ هذا ، وتدعو هذه لكى تصحو ، وتنطلق إلى المطبخ للشاى واللبن والطعام ، وترجع إلى هؤلاء الذين يستعدون للذهاب للمدرسة والعمل .

وترتفع أصوات :

– أمى ، لا أجد حذائى !

– أمى ، لم توقعى على شهادة المدرسة !

– آه ، ونقود الرحلة ، أين هى . . ؟

وقد يأتى صوت الأب من مكان ما يصرخ بحثا عن بعض أشيائه الضائعة وقد يشتد الصراخ حول زرار لم تخطه الأم ، وملابس لم تعد من عند الكوا وربما وجدت جدة عجوز تسأل عن دوائها ، والأم تحاول خلال كل ذلك تؤدى ألف عمل وعملاً : تكلم اثنين أو ثلاثة فى وقت واحد ، وتجهز الشا للمدرسة ، وتساعد الصغير فى ارتداء ملابسه ، وتمشط شعر الصغيرة ، وتر كتب الثالث . . وهو يصيح :

– أختى أخذت قلمى . . أين الحقيبة يا أمى ؟

– كتاب المطالعة كان هنا . . يا أمى . .

وتتردد كلمة « يا أمى » عشرات المرات وهى لا تكل ولا تمل ! ولو حسبنا ميلا تقطع فى ساعة الصباح ، وكم جهدا تبذل – لأذهلنا ما تحسبه وهى رائحة كالنحلة الشغالة ، تكلم هذا ، وترد على ذلك ، وتساعد ذلك ، و عملا لتبدأ آخر ، هى معركة يومية ، كل ثانية فيها عمل ، فيها طلب ، مفاجأة ! والصغير قد يسير بحذائه دون أن يربطه . . ويقول الأب :

– أكاد أفقد صوابى حين أرى رباط حذاء ابنى يتأرجح ، ويكاد يوقع وطئه بأقدامه !

هل من الضرورى أن نلزمهم بربطه ؟ أن ندعه يخب فى حذائه ، كأنه غير مهتم ، بل كأنه سعيد به . . أليست هذه فرصة لتدريبه على المسئولية ؟

والواقع أنه يجب علينا ألا نربط بين رباط الحذاء والمسئولية ، ومن الأفضل ألا ر جدلا حول هذا الموضوع بأن نشترى للأطفال أحذية بلا أربطة ، أو علينا أن بط لهم الحذاء بلا نقاش . . وبلا تعليق ، وسيتعلم الطفل – إن عاجلا أو بلا – أن يربط حذاءه قبل خروجه من البيت . . وقد تقول الأم :

– ملابسك يا ليلى ليست أنيقة بشكل كاف !

وربما يبدو أحمد كأنه ذاهب إلى حفلة . . أنيقا معطرا من حسن الحظ أن ثير من المدارس لها ملابس رسمية عادية تريحنا من المبالغة فى اختيار الألوان – العصر – وتقلل من همومنا بالنسبة للتفاوت بين الأبناء بالنسبة لملابسهم . . ب علينا ألا نحشو رؤوس الأبناء بالتحذيرات والقلق حول ملابسهم والنظافة :

– هأنتذا تخرج من البيت نظيفا كالفلة البيضاء ! احذر أن تتسخ ملابسك . .

وقد تراه يتطلع إلى ملابسه ، قبل الخروج فتقول له :

– المهم أن ترجع بها نظيفة . . تذكر كَمْ أتعب فى غسلها !

وفيما نرى أن حرية الطفل فى أن يجرى ويقفز أو يلعب الكرة يجب أن تكون لها ودية على الأناقة !

ومن الطبيعى أن يرجع الصغير من مدرسته وقد اتسخت ملابسه ، ولحظتها هناك أفضل من أن تكون الأم وديعة معه ، فتقول له بلا توبيخ أو تعنيف !

– واضح أنك عشت يوما حافلا فى مدرستك ، غير ملابسك ، وضع مه فى سلة الغسيل .

ليس من المناسب الإشارة إلى أنه قد أصبح قذرا ، إنك – أيتها الأم – ن من الجهد المبذول فى الغسل ، وذلك لسبب بسيط : لا يمكن الطفل أن

يضع النظافة فى مكان أهم وأسبق من اللعب !

من البديهى أن اللعب فوق كل شىء وقبل كل شىء ! ولذلك فالملابس التى تغسل لا تحتاج إلى الكى أفضل ، وتساعد على حسن معاملة الطفل أكثر مما تفعل المواعظ حول النظافة !

ونعود لمعركة الصباح :

– أين المسطرة ؟ قلمى الحبر ضاع !

–نظارتى ! أريد نظارتى ! وضعتها هنا قبل أن أنام !

وهذه صرخات طبيعية صباحية ، والطفل خلال لحظات الصباح واندفاعا قد ينسى أشياء يجدر بنا أن نعطيه إياها دون أن نضيف مواعظ ونصائح ، إن عبا تقول :

– ها هى ذى نظارتك يا عزيزى ، مسطرتك هناك تحت المكتب يا عزيزتى

هذه العبارة أفضل من عبارات أخرى قد تقال مثل :

– أنت كثير النسيان ، من الممكن أن تنسى رأسك ذاته لو لم تكن كتفيك !

– أنت فوضوى ، لو رتبت أشياءك ، ما صارت غرفتك دكان عطار الصباح ! ليس وقتا مناسبا للكلمات التربوية ، والمواعظ الأخلاقية ، فى ألا نلقى على سمع الطفل قائمة من الأوامر والنواهى والتحذيرات قبل المدرسة ! بل من الأفضل كثيرا عبارات مثل :

– أرجو لك يوما ممتعا .

بدلا من تلك الكلمات التقليدية .

– لا تسبب مشاكل فى المدرسة ، لا تتشاجر أنت وجارك !

وعبارة تقول :

– إلى اللقاء ، بعد نجاحات ظريفة . فى المدرسة ، فى انتظارك فور انتهاء
وسك . . خير من عبارة :
– لا تتسكع فى الشارع بعد خروجك من المدرسة !
إن هذه الفترة الصباحية التى قد لا تمتد ساعة كاملة – لها أهمية كبيرة :
تصرفات فيها تلقائية . والوقت ضيق لا يحتمل حوارا ونقاشاطويلين وخاصة
كانت الأسرة كبيرة العدد . وإذا كان أطفالها فى سن مبكرة ! إنها ساعة محتشدة
عمل ، ربما نكون بالحديث عنها قد كشفنا سرها عند بعض من يعيشونها دون ان
هوا لما تحويه من مجهود . لكن مطلوب من الآباء والأمهات تدريب الأبناء على
ء هام جدا . نريد أن نسمع الطفل يقول فى لحظة خروجه للمدرسة :
– أمى أريد أن أودعك . .
ولحظتها يجب على الأم أن تنفض يدها من كل شىء ، وكذلك الأب . إن
ة أو الابن يحتاج لأن يقولها . . ببساطة وحب :
– أمى . . قبلينى قبل أن أمضى !
– هل لى أن أقبلك يا أمى قبل أن أذهب ؟
هذه اللحظة خطيرة خطيرة ! إن من يستطيع أن يلحظها ويرقبها من بعيد قد
تطيع أن يرى ما يحدث فى هذه اللحظة . لكن شيئا هاما فى منتهى الأهمية
فى هذه الثانية بالذات ! إن الأم تلتفت لحبيبها الصغير أو لابنتها الحبيبة ،
، إليهما الأم وقد زال كل التعب الذى شعرت به نتيجة مجهود الصباح
، . راح التعب . ! كل خطوط الإرهاق التى رسمت على جبينها طيلة الصباح
. . اختفت . . ساعتها تضع على وجهها وشفتيها أحلى ابتسامة فى الوجود
عطى القبلة أو تأخذها من ابنها . . وتقول أم :
إننى لا أنسى جهد الصباح فحسب ، بل إننى أشعر أن ما تبقى من عمل

البيت قد أصبح سهلا بسيطا ! ماذا يعنى أن تقف فى المطبخ ساعة أو ساعتين ، أ تغسل ساعتين أو ثلاث ، أو ترتب وتنظف ثلاث أو أربع ساعات ؟ ما قيمة ك هذا أمام أروع وأحلى وأجمل (قبلة) فى الوجود ! . . إن الطفل يقول :

– أريد أن أقول إلى اللقاء يا ماما . . وأعطينى (قبلة) . .

وتقول الأم :

– إنه يستحق فعلا القبلة !

والأم – فيما نرى – تستحق ألف قبلة .

اليوم المدرسى

أكبادنا : يتغيبون بضع ساعات عن البيت ، يقضونها فى المدرسة ، و الأفضل كثيرا أن تكون الأم فى ساعة عودة الأبناء من المدرسة فى انتظارهم لتستقبلهم . وتحييهم ! وبدلا من أن تستقبلهم الأم بتلك الأسئلة التقليدية تتلقى عليها إجابات متكررة يمكن الأم أن تستبدل عبارات يستدل منها على تفه لما يلقاه الابن من مصاعب ومتاعب فى المدرسة !

إن الأم قد تسأل :

– كيف حال المدرسة اليوم ؟

طيبة .

– وماذا فعلت اليوم ؟

– لا جديد . . نفس ما أفعله كل يوم !

لا جدوى من مثل هذه الأسئلة ، ولا فائدة فى الردود والإجابات عز المساءلة ومن المستحب أن تقول الأم شيئا آخر :

– يبدو أنك قضيت يوما حافلا فى المدرسة ، واضح أنك سعيد به

بيت ، هل افتقدتنا كما افتقدناك ؟ تعال أريد أن أسمعك تتحدث عن الحصص لمعلمين والزملاء ، هل من شيء طريف حدث اليوم ؟

وإذا لم يكن فى استطاعة الأم أن تنتظر الابن فلا أقل من أن تنتظره منها رسالة سيرة تبلغه أنها اضطرت لترك البيت لمهمة عاجلة قصيرة ! أمهات كثيرات تخدمن الكتابة فى التخاطب مع الأبناء ، ويجدنها وسيلة طيبة للتعبير عن اعرهن ! والحق أن هذه الرسائل تزيد من الروابط الأسرية . لقد تركت أم بها سطرا تقول فيه :

– اضطررت للذهاب إلى خالتك ، هى تضع مولودها . .

وعادت بعد أن نام الصغير ، وإذا بها تجد على رسالتها تعقيبا يقول :

– عودة سالمة لك ، ومبروك لخالتى !

واهتزت الأم للتعليق ، وكذلك الأب الذى يعود مرهقا من عمله ويحتاج إلى هادئ ، ويحتاج إلى ألا يستقبل على الباب بكمية من الشكاوى والمشكلات لبات ! إنه فى حاجة إلى كوب شراب بارد ، حمام دافئ ، بريده اليومى ، ه الأسبوعية ! ولابد من تركه لفترة دون إلحاح عليه بأى أسئلة ، فترة هى راحة تضيف الكثير إلى الحياة الأسرية ! والأطفال يجب أن يدربوا على م هذه الفترة ، أما العشاء فهو مناسبة حلوة لتبادل الحديث ، ونردد نحن ، دائما :

- « تحدثوا على الطعام ولو بثمن أسلحتكم » !

ب ألا يكون العشاء من أجل الطعام فحسب ، بل من أجل الجلسة ث ، ولابد من أن يقل الكلام عن الطعام ذاته ، والكمية التى يأكلها ل ، بل من المهم تغذية مشاعرهم ووجدانهم وعقولهم خلال هذه ت ! وإذا كنا قد مضينا مع الطفل منذ استيقاظه فلابد أن هناك وقتا

للاستذكار . وآخر للترفيه . والترفيه ليس مقصورا على الأطفال . وقد وصلوا إلى درجة من القوة والسيطرة فى بعض البيوت إلى درجة أنهم أصبحوا يتحكمون فى خروج آبائهم ! بعض الأطفال يبكون ! يقول أحدهم :

– لا تخرجى يا ماما . لا أريد أن أبقى ! إنى أخاف !

– طبيعى أن يخاف الإنسان . لكن لابد أن نعرف : مم يخاف ؟

– من البقاء وحدى ؟

– لا . لا . هذا لا يخيف . هذه حجة تريد أن تستبقينى بها فى البيت

– نعم . هذا ما أريده !

– ولكنك ستحرمنى الاستمتاع برؤية أهلى . ومشاهدة فيلم معهم ! . لابد أخرج .

إن اعتراض الطفل . أو تهديده . أو بكاءه يجب أن يهمل . وردودنا ء لابد أن تكون فى منتهى الوضوح والحسم . وإن قيلت فى ضجة ودود تعنى أنه الضرورى لها أن تخرج لسهرة بين حين وآخر . . نترفيه ، كما يرفه هو – أى الطفل عن نفسه بالتليفزيون ! وهو جهاز ينتزع من أبنائنا بضع ساعات يوميا . يفضلونه على القراءة . والموسيقى . والأحاديث ! وهو يحتاج لحديث طويل منفه ندعه لوقت آخر . ونعود إلى يوم فى حياة الصغير . لابد أن ينتهى ذلك ا بصراع تقليدى . وعندما يرتفع صوت الأم بتلك الصيحة :

– هيا . . إلى النوم .

فى كثير من البيوت – كما تثور معارك الصباح من أجل الاستيقاظ – معارك أخرى من أجل ذهاب الأطفال إلى فراشهم ! إنهم يريدون أن يه لساعة متأخرة . والأمهات يرغبن فى دخول الصغار إلى سريرهم ! ويصبح النقاش عبئا على الطرفين ! والسبيل الوحيد لجعل الأطفال يتطلعون إلى هذا

يحب ورغبة هو أن نجعل فترة ما قبل النوم مجال حديث ممتع وحكاية حلوة ، إنهم يحبون لحظات خاصة مع ماما أو بابا يتقاسمان خلالها المشاعر والآمال ، بل مخاوف ، ذلك يدفعهم إلى نوم هادئ مريح . قد يجرى هذا الحوار بين أم طفلها – ابن السنوات الثمانى :

– احك لى كل ما دار فى يومك يا صغيرى !

– كان يوما طويلا . لم أكن أريد أن أصحو من نومى ! كنت فى حلم جميل تطلقنى منه !

– كيف لى أن أعرف أنك كنت تحلم ؟

– ثم عنفتنى ومنتى لأنى لم أشرب اللبن ، كان سخنا ملتهبا كالنار !

(تضحك) – لماذا لم تقل لى هذا ؟

– قلته ولم تسمعى . كنت تساعدين شقيقتى فى البحث عن ملابسها .

– آه معذرة . !

– وخرجت للمدرسة ولم أتلق قبلة الصباح ولم تعطينى الفرصة لتقبيلك .

– يا إلهى إذن الآن قبلتان ! ولى قبلتان !

فات الأوان ! كان اليوم كله فى المدرسة . بعد كل هذا . سخيفا جدا !

– إنه لمن المؤسف أن أسمع هذا . .

– ورجعت فلم أجدك بالبيت ، ولم أجد من يعرف أين أنت ولا متى تعودين ؟

– قلت لك أين كنت . .اضطررت لهذا الخروج !

– وعندما عدت صرخت فى ، لأنى كنت أشاهد التليفزيون . . مع أنى كنت ت كل واجبات المدرسة !

– كنت متعبة . لم أكن قادرة على الاستماع لشىء ، لكن . لماذا كل قائمة يقات هذه ؟

– (يضحك) ، أنت سألت يا أمى : ماذا دار فى يومى ؟

– آه ! هيا ننسى كل هذا ، ستضحك كثيرا عما حدث عند خالتك .

ويشمل هذا الحوار كل ما فى نفس الصغير ، ويجعله يغمض عينيه فى ارتياح ولنا أن نتصور لو أنه نام وكل هذا فى نفسه تجاه أمه ! إن اليوم الطويل المضنى قد يتكرر ! وقد يصبح هو الشىء العادى ، الأمر الذى يرسب الكثير فى نفس الصغير ، ومن هنا كان استعراضنا اليوم فى حياته يهدف للكشف عن برنامج هذا اليوم ، وكيف نثرى من لحظاته ، ونجعل ساعات وجودنا بين أبنائنا أكثر إمتاعا لنا ، ولهم ؟ وقد يدور حوار آخر كهذا :

– كيف كان يومك ؟

– رائعا يا أمى ! صحوت قبل أن تدق الساعة ، وكنت أول وجه أراه وكنت مبتسمة كالمعتاد .

– وصباحك قبل المدرسة ؟

– أحيانا أجد كل شىء سهلا ، وأرتدى ملابسى وأفطر فى لحظات بفضل النظام الذى وضعته لنا !

– واليوم الدراسى ؟ والمعلمون ؟

– كل شىء كان موفقا ، وعندما عدت ووجدت طبق المفضل على المائدة أدركت أنك تحبيننى وتفكرين فىّ خلال غيابى فى المدرسة !

وهكذا يمضى الحوار حلوا يقطر حبا ، يملأ القلوب بالأمل ، ويفعم الصدور بالبهجة ، إنها لحظات لا تنسى فى حياة الصغير . وهى مشبعة للأم والأب . لا نحرص عليها ؟ كلنا فى واقع الأمر فى حاجة إلى (حكاية ما قبل النوم) ، كان اليوم ثقيلا مملا مضنيا ، أو كان ظريفا لطيفا سعيدا !

غيرة الأطفال

أكبادنا والغيرة : قضية مطروحة دائما . ويجب ألا نغفل عنها . ولابد أن
ول أن نحل محلها المحبة والتعاون والتواد . وإلا فإنها – أى الغيرة – ستذهب بهم
لرف الآخر . الحسد ، وله فى تاريخ الإنسانية مآسى مفجعة ؛ فكلنا يذكر أن
، حادثة قتل كانت بسبب الغيرة بين الشقيقين : قابيل وهابيل . وحكاية سيدنا
سف وإخوته الذين حقدوا عليه معروفة ، ودراستنا للغيرة تكشف أن وراءها دائما
سيل الأب لواحد من أبنائه ! والأطفال يحبون قراءة قصص الغيرة والمنافسة
أر ، وهى تثيرهم وتمس مشاعرهم . والغريب أنهم لا يتعاطفون دائما
سحية ! .

* * *

وأخطر لحظات الغيرة تكمن فى قدوم طفل جديد !

– إننا نحبك كثيرا لأنك ولد رائع ولهذا قررت أنا وأبوك – أو أنا وأمك – أن
ءبطفل آخر مثلك تماما ! إنك ستحب هذا الطفل الجديد ، إنه سيكون
ك ، كذلك ستكون فخورا به ، سيكون لديك دائما من تلعب معه ،
عبه !

هذا الإعلان للخبر غير صادق ؛ إذ يجب أن يتفادى الآباء من هذا الشرح
ل غير المقنع ؛ فما لا شك فيه أنه أمر يثير الغيرة ، والحسد والمنافسة . . رضينا
بنا ! إنها أولى مشكلات الطفل التى يواجهها فى الحياة على الأرض ، ويحتاج
لمساعدة بدلا من أن نكون مجرد عاطفيين ! إن الطفل سوف يرد على هذا
الطويل قائلا لنفسه :

– إذا كانا يحبانني حقيقة فإنه ما كان يجب عليهما أن يبحثا عن طفل آخر ويجيء به ! لابد أنني لست شيئا حسنا . ولا جميلا بقدر كاف . لذلك يريدان أن يستبدلا بي هذا الوافد الجديد الذي سيحبانه أكثر ! ويرعيانه أكثر ! وسأكرهه

هذا هو ما يفكر فيه الصغير ! إن كائنا آخر سيقاسمه حب أمه . والطفل يعرف أن اقتسام الشيء يعني أن نصيبه سيكون أقل ! مثل اقتسام قطعة من الحلوى الكعك . وهذا شيء يقلقه ، وإذا تصورنا أن هذا الشيء سوف يبهج له الطفل فإننا واهمون وغير مطلقين . وفترة الحمل تؤكد لديه الشكوك ويهمس لنفسه

– إن هذا الصغير قبل أن يصل قد شغل أمي ! إنها أصبحت منذ الآن أقل اهتماما بي ! إنني لا أستطيع أن أجلس « في حجرها » بسبب هذا الطفل المتخفي بطنها ! ومع ذلك فهو يؤكد وجوده : هذا المقتحم الدخيل « الحشرى »

والواقع أنه لن يستطيعنا أن نعلن عن وصول الطفل الجديد بدون طبول أبواق عالية أو موسيقى صاخبة ! بل من الضروري أن نقدم الخبر في بساطة شديدة ، يكفي أن نقول :

– سوف يكون لدينا طفل جديد في الأسرة قريبا .

وبالطبع سوف يكون هناك رد فعل سريع ومباشر . وسوف تكون العشرات الأسئلة تدور في رأسه ... وسوف يكون عنده أشياء مقلقة يحبسها صدره ، ومن حسن الحظ أننا كآباء نستطيع أن نساعد الأبناء لكي يعبروا المشكلات . ولا يستطيع أحد ، ولا يمكن أي شيء أن يغير من حقيقة أن الطفل الجديد يشكل تهديدا كبيرا لأمن الطفل ! وعلى هذا فإن التوتر الحادث لا يتوقف على حكمتنا ومهارتنا ، ولدينا مثال نرويه يوضح أمثل أسلوب لتقديم جديد : يروى أحد الأبناء :

– عندما ولد شقيقي أخذني أبي من يدي ، لكي أراه . وحتى اليوم أستطيع

كر الوجه الأحمر لذلك الطفل الراقد على ذراعى أمى ، وصوتها يهمس لى :

– إنك يا عزيزى من الآن مطالب بأن تكون أفضل وأحسن ؛ فقد أصبح بنا طفل آخر ! إنك لم تعد الطفل الوحيد . ومن هذه اللحظة ستكون أنت لقيقك الطفل الصغير قد أصبحتما اثنين بعد أن كنت الوحيد من قبل !

– وأعتقد أننى خلال عمرى كله من ذلك الحين للآن وأنا حريص كل الحرص ، ألا أتفوق على شقيقى أو أحيل حياته إلى جحيم !

وبالعكس . هناك مثل آخر يوضح كيف يعين هذا التقديم . ويساعد الطفل ، التغلب على مشاعر الغيرة التى تنتابه نتيجة قدوم طفل جديد ؛ تروى إحدى مهات :

– عندما رأتنى ابنتى حاملا ، وكان عمرها خمس سنوات – كانت تبدو فرحة جة ، لقد رسمت شمسا ساطعة ، وزهورا ملونة للحياة مع الوافد الجديد ! ولم جع هذه النظرة الوردية للحياة ، فهى نظرة لجانب واحد منها . لذلك قلت :

– مما لاشك فيه أن ذلك سيكون شيئا ظريفا أحيانا ، ولكنه فى أحيان أخرى ببب مشاكل عدة ، إنه سوف يبكى ويزعجنا ، سوف يبلل ثيابه وفراشه ، إننى ـ أكون مضطرة لأن أغسل له جسمه ، وأطعمه وأعنى به ليل نهار ، قد ين – يا عزيزتى – أننى إلى حد ما قد تركتك وحدك ، وربما تشعرين بالغيرة قلت لنفسك :

– إن أمى لم تعد تحبنى ! إنها تحب الوليد الجديد أكثر مما تحبنى !

وتضيف الأم :

– عندما تنتابك هذه المشاعر أرجو أن تجيئى لتخبرينى ، وسأعطيك ساعتئذ أمن الحب ، لذلك أرجوك ألا تقلقى . إنك ستكونين على ثقة من حبى الكبير لك !

إن الكثيرين من الآباء يترددون فى استخدام هذا الأسلوب فى تناول المشكلة إنهم سوف يخافون وضع أفكار خطيرة مثل هذه فى أدمغة الأطفال ، وعلى هؤلا الآباء أن يتيقنوا أن هذه الأفكار ليست جديدة بالكامل بالنسبة للأطفال ، وتأثيره لا يمكن إلا أن يكون جيدا ؛ لأنها تعكس فهم المشاعر الإنسانية ، إنها تغس الشعور بالذنب ، وتستدعى المودة والقربى ، ومن الأفضل إذا شعر الطفل بالحر أن يعبر بصوت عال عن غضبه لهذا الوليد الجديد ، نعم ، هذا أفضل من أن يظ غضبه همس النفس وحبيس الصدر ! لو حدث أن كبت مشاعره فقد تظهر أحلامه ، كما قال صغير :

– حلمت أمس أنى أدفع بأخى من الدور الخامس !

وقد يصحو الصغير من حلمه صارخا ، بل قد يجرى إلى فراش أخيه ليفت عنه ويطمئن عليه وعلى أنه مازال هناك ! ويسعده أن يراه سليما ؛ حتى لا يعر الأبوان أنه لا يحبه !

والواقع أن الأحلام تتحول إلى كابوس ثقيل ، ويترجم الصغير مشاعره صور بدلا من أن يرويها فى كلمات ، والأخيرة أفضل ، ولدينا حكاية تروى فى ، المجال :

– أصيب ابننا وعمره خمس سنوات بعد مولد شقيقه بضيق فى التنفس وظننا أنه يحب شقيقه لدرجة الموت . ويبدو أن تعبير لدرجة الموت هو أص تعبير ، وقد وجد الطبيب أنه ليس مصابا بمرض عضوى ، فتم تحويله إلى مست أمراض نفسية ؛ لكى يستطيع أن يعبر عن غيرته وغضبه بالكلمات ، بدلا أزمات التنفس !

إن بعض الأطفال يعبرون عن غيرتهم بإصابتهم بالسعال ، وببثور تظهر جلدهم : بعضهم يبلل فراشه فى أثناء نومه ، إنهم يعبرون بوسيلة ما إذا ؛

عليهم وسيلة الكلام . بل إن بعضهم قد يصبح مخربا : يكسر الأطباق بدلا من أن نطلق صوته صاخبا معبرا عن الغضب . وبعضهم يقضم أظفاره أو يشد شعره عويضا عن الرغبة فى عض شىء آخر أو شده وجذبه ؛ ولهذا نفضل دائما أن تكون كلمات والعبارات هى وسيلة التعبير . والآباء مطالبون بتيسير ذلك لهم حتى تحبس مشاعرهم . بل تنطلق لتريح !

مظاهر الغيرة

أكبادنا : لديهم مشاعر غيرة قد لا تلحظها النظرة المجردة . وعلى الآباء أن ركوا ذلك وأن يعرفوا أن للغيرة عدة وجوه ، ومظاهر مختلفة ، وهى تعبر عن سها بوسيلة ما مهما حاول الأطفال إخفاء هذه المشاعر التى قد تظهر فى الرسم على مدران .

وعدم التنفيس عن الغيرة فى الطفولة له ثمار مرة الطعم تظهر من حولنا نحن بار فى المنافسات المحتدمة . .

إنها تظهر مع ذلك السائق الذى لا يريد لسيارة ما أن تسبقه على الطريق ، و مع ذلك الذى لا يريد أن يخسر دور شطرنج ، أو هذا الذى يراهن بحياته ت وجهة نظره فى أمر ما ، أو هذه التى تريد أن تبز وتتفوق على زميلاتها فى كرم يافة ولو كلفها ذلك فوق طاقتها ! وتبدو فى هذه المرأة التى تخسر المعركة قبل أن لمها ، والتى تجلس فى المقعد الأخير ، والتى لا تطالب حتى بحقوقها الطبيعية ! لغيرة تطبع حياة الإنسان وتؤثر فى شخصيته ، وسنناقش هنا نقاطا ثلاثا :

- أسباب الغيرة وأصولها .
- الدوافع والاتجاهات التى تثير الغيرة .

« كيف نعالج الغيرة ونخفف من آثارها ؟

وقد يرى بعض أن النقطة الأخيرة ذات أهمية خاصة . لذلك نبدأ بها . ونقف عند تعبير بعض الأطفال بصراحة موجعة عن غيرتهم . فقد يَصْبِغون أحاسيسهم بشكل غير دبلوماسي قائلين :

● أمي . هل يموت الأطفال الرضع الصغار ؟

● لماذا يا ماما لا نعيد هذا الصغير للمستشفى . أو نلقي به إلى صفيحة القمامة

بل إن بعض الأطفال قد يعلنونها حربا حقيقية على الصغار الرضع . ويدخل في عمليات عسكرية ضد هذا الغازي . فتمتد أيديهم إليهم كأنما يربتون عليهم أو يمسحون في حنان جسمهم . ثم تغوص أصابعهم في لحمهم بلا شفقة ولا رحمة . يقرصونهم أو يؤذنهم بكل وسيلة ممكنة .

والغيرة الأخوية قد تسبب عاهات مستديمة . وهذه الهجمات الضارية جسمانيا أو كلاميا مرفوضة تماما . ويجب على الآباء وقفها بكل السبل . لأنها تؤ الطرفين : الجاني والمجني عليه ! وكلاهما يحتاج إلى حمايتنا : واحد نحميه من الآ والآخر نحميه من نفسه وميوله ! ومن الواجب أن نحمي الأول دون أن نؤ الأخير : فعندما نضبط صغيرا في الثالثة يؤذي أخاه الصغير الرضيع علينا أن نق في وضوح :

● يبدو أنك لا تحب شقيقك !

● الظاهر أنك غاضب منه . حانق عليه !

● أرني إلى أي حد تضيق به ؟ وسأراقبك وأشاهد ما تصنع !

ونستطيع أن نسلم للطفل (عروسة) كبيرة لينفس فيها عن غضبه . قد يضم يدفع بإصبعه إلى عينها . يلقي بها إلى الأرض ويطؤها بقدمه ! علينا ألا نقترح الصغير ما يفعله . مهمتنا أن نراقب بعيون محايدة . ونتجاوب بكلمات متعاط

ويجب ألا نصدم لعنف وقسوة المشاعر التى يبديها الطفل فى هجماته ؛ إنها مشاعر صادقة وأمينة . والتنفيس عنها لا يضر ومن الأفضل أن ينصرف إلى الأشياء بدلا من الصغير الذى لا حول له ولا قوة ! ويجب أن تكون تعليقاتنا قصيرة وبسيطة مثل :

● إنك قد أطلعتنى على حقيقة غضبك يا عزيزى .

● آه ! الآن عرفت ماما الأمر .

● من فضلك حين تكون غاضبا حانقا تعال إلى . وقل لى : ماذا يغضبك ؟

إن هذا الفهم يعاون كثيرا فى تخفيف حدة الغيرة أفضل مما يفعل العقاب أو السب أو الشتم . ومما لا شك فيه أن موقفا كهذا يستحق منا النقاش . قالت إحدى الأمهات :

عندما ضبطت ابنى – وهو فى الرابعة – يسحب شقيقته الرضيعة من قدميها انفجرت صارخة فيه : ما هذا الذى تفعله ؟ أتريد أن تقتلها ؟ هل تريد أن تقتل أختك ؟ ألا تفهم أنه من الممكن أن تصيبها بعاهة عمرها كله ؟ هل تريدها معقدة ومشلولة ؟ كم مرة قلت لك : إنه يجب ألا تخرجها من فراشها . وإنه يجب عليك لا تلمسها مرة أخرى !

هذا الموقف من جانب الأم لا يفيد . ولا يرجع الطفل عن تصرفاته الخاصة حتى الأطفال الكبار يجب أن يواجهوا بمشاعر الغيرة التى يحسونها ، ولابد أن كشفها لهم . ومن الممكن أن يكون الحوار معهم مفتوحا بشكل أوسع وأكبر ، ولها ببساطة :

● من الواضح أنك لا تحب هذا الصغير ، وأنك كنت تتمنى لو لم يولد ! لقد كنت تود لو أنك كنت وحيدنا ، وكنت ترجو أن تستولى على كل الحب والرعاية ، إنك تغضب حين نرانا نهتم به ، إنك تريدنا معك وحدك باستمرار !

ولكننا لن نسمح لك بأن تؤذيه ! إنك تستطيع أن تخبرنا بما تشاء إذا أحسست بالضيق منه وبإغفالنا لك ! نخصص لك وقتا إضافيا حتى لا تشعر بالوحدة والضيق !

إن الطفل فى الواقع يحب أن يكون وحيد أبويه ، و« ألا يكون هناك على الحجر سواه ! » كما تقول العامة فى وطننا ، وهذا هو أصل الغيرة وسببها الأساسى ، إنه يريد أن يكون بلا منافس ، وعندما يصل الأبناء الآخرون يدخل معهم فى منافسة من أجل مزيد من الحب من الأبوين ! قد تكون منافسة خفية أو معلنة ، ويعتمد ذلك على تناول الأبوين لموضوع الغيرة بعضهم يغضب لها .

– إنه لمذهل ، إنهم لا يتعاملون كأشقاء ولا كأصدقاء ! إننى أكاد أفقد صوابى لهذا ، إننى أعاقبهم لهذا الصراع المستمر بينهم ، ولكن العقاب غير مجد !

وبعض الآباء يبذلون جهودا مضنية من أجل التفادى من أسباب الغيرة . ويحاولون أن يقنعوا الأبناء بأنهم يحبونهم حبا متساويا ؛ ولذلك فلا مبرر للغيرة

– أنتم أشقاء ، كيف يمكن أن نفضل واحدا على الآخر ؟ مشاعرنا تجاهكم متساوية تماما ، لا تنقص ولا تزيد ، فى كل شىء نساوى بينكم : فى الملابس فى مصروف الجيب ، فى الهدايا ، فى النزهات – فى كل هذا عدالة ومساو مطلقتان !

لكن لا هذا الموقف ولا ذاك يخفف من الغيرة : لا العقاب الشديد ولا المساو الكاملة تحل المشكلة وتوقف سعى أى منهم لمزيد من الحب والرعاية ! وعند لا يتحقق هذا تبدأ الغيرة ! وعلى كل سواء انطفأت نيران الغيرة بسلام أو اندلع حريقا فالأمر يتوقف على اتجاه الأبوين وتصرفهما !

ولنجب الآن عن ذلك السؤال :

● ما دوافع الغيرة ؟ ما أسبابها الأخرى ؟

فى الظروف العادية يشكل سن الطفل ونوعه إن كان ابنا أو بنتا الدوافع الرئيسة للغيرة : الابن الأكبر يحسد على أن له مزايا أكثر ، ويحترم أكثر . وله استقلال أكبر ! الأصغر يغار منه يحمى ، ويرعى بشكل أكبر وأكثر ، البنت تغار من حرية الولد . والولد يغار من الاهتمام الأوضح بالبنت ! وتشتد نيران الغيرة حين يعطى الآباء هذه الفروق أهمية . ومن حق الصغير أن يغار إذا أحس أن الكبير له أفضليته ، والعكس صحيح ! وإذا قوّمنا ذكاء طفل وفضلناه لهذا ، أو لجمال شكله أو بقدراته ومواهبه فسيثير هذا الغيرة . وخاصة إذا انهالت منا على الطفل عبارات المديح لهذه الصفات ! يجب معاملة الإخوة سواسية ، الميزات التى هى كثر تعنى مسئوليات أكبر . بمعنى أن الابن الأكبر يحصل على مصروف أكبر ، يتأخر فى الذهاب لفراشه ، الصغير يحتج ، فنقول له :

● إنك تريد أن تسير مثل أخيك . وتتمنى لو أنك كبير مثله . لكن ها قد حان وعد نومك !

وقد يطلب الآباء من بعض الأبناء التضحية من أجل أشقائهم .

● اترك سريرك . ونم أنت على الأريكة الليلة .

● لن نستطيع أن نشترى لك مكتبا هذا العام ، لأننا فى حاجة إلى نقود من جل شقيقك .

إن الطفل هنا يحس أنه حُرم . وأن الحرمان من أجل أخيه ، فيغار منه ، كما أن لاء الذين يتصورون أن العدالة المطلقة ممكنة فإنهم دائما يفشلون : يجب أن ون فى الاستطاعة الآن أن تعطى واحداً من الأبناء تفاحة أكبر فإنه لشىء طاق ذلك الجهد الذى يبذل من أجل مساواة مستحيلة عاطفية ومادية ؟ إنها م صاحب المحاولة إلى توتر وتمزق عنيفين نتيجة قياسه لدرجة العطاء فى الحب ، الواقع أن حب الآباء لكل ابن من أبنائهم حب خاص متميز ، التركيز على

نوعية الحب . وليس على كميته . . إننا لانحبهم بالطريقة نفسها ولاداعى للتظاهر بذلك ، إننا نحب كلا منهم على حدة بنوع معين ، بنوع بذاته من الحب . ويجب ألا نغفل هذا ، لأنه فى حالة المساواة سيمسك كل طفل ترمومتر يقيس به حرارة العواطف ، ونجد نفسنا أمام أطفال يقول كل منهم فى كل لحظة :

● هذا ليس عدلا !

● إن هذا ظلم !

يجب ألا ننفعل لضجيجهم وإعلاناتهم هذه ، إنها « بروباجندا » . . علينا ألا نهتم بالدفاع عن أنفسنا ، فلنقاوم اضطرارنا فى كل لحظة إلى تبرير مواقفنا . ولنقاوم محاولتهم لجرنا للنقاش الذى لا ينتهى حول قراراتنا . عادلة هى أم لا ؟ . ويجب ألا ندفع إلى تحديد عواطفنا وقياس حبنا من أجل العدالة فنقول لكل منهم : إننا نحبه حبا خاصا . وليس متساويا ولا عادلا . فلنعط الطفل أنفسنا لفترة . لا وحده ، ولا نشغل بغيره حين نكون معه بالخارج . لا نتحدث عنهم باستمرار أ نشترى هدايا لهم : لتكون لحظاتنا معهم لا تنسى ، وليست مقتسمة مع آخرين

الخوف والقلق عند الأطفال

أكبادنا : عند كل منهم نصيب من الخوف والقلق ، والآباء والأمهات يجب أن يدركوا هذا ، ويجب أن يعرفوا مصادر هذا الخوف والقلق ، إن بعض الأمهات يتساءلن :

● لماذا يبدو ابنى خائفا دائما ؟ ليس هناك مبرر لهذا !

ولقد ذهب الأمر بأحد الآباء أن قال يوما وهو يخاطب طفله القلق :

● كف عن هذا الكلام الفارغ ! أنت تعلم جيدا أنك سعيد جدا !

ومن الضرورى والمفيد أن نبحث فى مصادر القلق عند أبنائنا ، لكى نقدم ض سبل علاج الخوف ، وبعض وسائل تخفيف القلق . وأول هذه المصادر جع إلى الخوف من أن يفقد حب والديه ، والقلق من أن يهجراه ! ولقد وصفها ن شتاينبك بشكل درامى فى روايته « شرق عدن » قال :

● إن الرعب الحقيقى الذى يعانيه الصغير هو ألا يكون محبوبا ، إن رفضه هو م التى يخشاها . ومع الرفض يأتى الغضب ، ومع الغضب يرتكب بعض جرائم ! أحد الأطفال كان يلتمس الحب ولم يجده فما كان منه إلا أن راح يركل لة ، وهو يخفى جرمه هذا ، وهناك طفل ثان كان يسرق من أجل أن تجعله

النقود محبوبا ، أما الثالث فكان يريد أن يهزم العالم كله ! هناك جرم متكرر وثأر !

إن الطفل يجب ألا يهدد أبدا بالهجران ! ولابد أن نحذر أن نشير لهذا من خلال نكتة أو فكاهة ، ويجدر بنا ألا نقولها فى لحظات الضيق والغضب ! يترامى إلى آذاننا أحيانا ونحن فى الشارع أو فى السوق صوت أم تصرخ فى طفلها :

– إذا لم تأت حالا فسأتركك .

مثل هذه العبارة تجعل الفزع ينشب أظفاره فى نفس الصغير ، إنها تثير خيالاته فى أنه قد يترك وحيدا فى هذا العالم ، ومن الأفضل بدلا من تهديده بهذه العبارة أن نمد له يدنا لنسحبه معنا ! .

وبعض الأطفال يقلقون جدا إذا عادوا من المدرسة ولم يجدوا أمهاتهم إذ تصحو لديهم مخاوفهم من أن تهجرهم أمهم ، لذلك نصحنا بضرورة ترك رسالة لهم ، وعندما تضطرنا الظروف للبعد عن الأبناء الصغار يجب أن نمهد لهذا !

إن بعض الآباء يجدون من الصعوبة إقناع الأبناء باضطرارهم للبعد عنهم فى مهمة أو رحلة ، فيتسللون ليلا أو فى أثناء اليوم المدرسى خوفا من رد الفعل على أطفالهم ، ويتركون علائم شرح الأمر ، ويبكى الأطفال ، وقد ينتظرون الآباء عند النافذة . . والتفادى من ذلك كان ممكنا بالتمهيد والشرح ، لا بالكلمات فحسب بل عن طريق أوثق ، ونفضل أن ندع إحدى الأمهات تحكى تجربة لها فى هذا المجال :

– قبل أن أدخل المستشفى لإجراء عملية جراحية ، بأسبوعين كاملين – أخبرت بنتى بذلك وعمرها كان ثلاث سنوات ، ولم تبد اهتماما كبيرا بالأمر ، ولكنى لم أخدع باللامبالاة التى أبدتها ، واقترحت عليها أن نلعب لعبة اسمها « ماما ستذهب إلى المستشفى » . . وأتينا ببعض العرائس والدمى اشتريناها خصيصا لهذه المناسبة ، بينما طبيبة وممرضة ، وخلال اللعبة قلت : إن ماما ستذهب للمستشفى

لتعود سليمة معافاة . . وسوف تسأل « ليلى » أين ماما ؟ أريد ماما ، قد تبكى ، لكن ماما فى المستشفى ؛ لتعود بخير وصحة جيدة ، وهى هناك تفكر فى « ليلى » وليلى لا تنسى ماما وتعود ماما للبيت وتفرح ليلى !

وقد تكررت هذه التمثيلية بين الأم والابنة . كانت الأم فى البداية تتكلم كثيرا ، ثم بدأت الابنة تتحدث ، وأوصت الأطباء والممرضة بماما ، وأنهت الابنة التمثيلية بأنها فى انتظارها فى البيت حين ترجع من المستشفى . وقبل أن تغادر الأم البيت قامت بأشياء كثيرة من بينها وضع صورة كبيرة لها تؤنس الصغيرة ليلى حتى تعود إليها ؛ فالبعد من أكثر الأشياء إثارة لقلق وخوف الأطفال . ويأتى بعده فى المرتبة :

● الشعور بالذنب .

ذلك الشعور الذى يغرسه الآباء فى نفوس الأبناء ، وهذا الشعور ، كالملح ، عطى الحياة طعما ، ويرد الإنسان لطريق الصواب ، ويشكل للصغير ضميره ، كنه يجب ألا يكون الأساس ، وعندما يتخذه الطفل قاعدة أخلاقية أو سلوكا جتماعيا فهناك مجال للشعور بالإثم أو الذنب ، ولكن عندما نحول بين الطفل وبين ن تكون لديه مشاعر سلبية أو أفكار سخيفة فسوف يحس بالإثم والقلق ! وعلى آباء الذين يريدون التفادى من ازدياد وطأة الشعور بالذنب أن يعالجوا خروج نائهم عن الخط المرسوم بالطريقة التى يعالجون بها نفسها سيارتهم إذا تعطلت ! إن لك لا يعنى ذنبا ارتكبه صاحبها ، إنه فقط يشير إلى ما يجب إصلاحه دون لوم جه للسيارة ، أو للأصوات الصادرة عنها ، بل هو يفيد منها فى الإجابة عن إل يوجهه لنفسه :

● ما مصدر الخطأ ؟ ما سبب المتاعب ؟ من أين يصدر هذا الصوت النشاز ؟ .

إنه لما يريح الأطفال أن يعرفوا مسبقا أن لديهم الحرية الحقيقية لكى يفكروا

كيفما يريدوا . دون أن يهددوا بفقد حب آبائهم لهم . ومما يساعد فى هذا المجال عبارات كهذه العبارات :

● إنك تحس الأمور بشكل . وأحسها أنا بشكل آخر ! إننا نختلف فى مشاعرنا تجاه الموضوع .

● يبدو لى أن رأيك صائب . رأيى مختلف . إننى أحترم رأيك . لكن لى وجهة نظر أخرى .

وقد يخلق الآباء لأبنائهم الشعور بالذنب إذا استعبدتهم الكلمات . وعذبتهم العبارات . وقدموا تفسيرات وتبريرات غير ضرورية . . وهذا يحدث كثيرا من « الآباء المصريين » . الذين يعتقدون أنهم لابد أن يتجهوا للمنطق والإقناع حتى لو كان الموضوع واضحا لا يحتاج إلى نقاش أو جدل !

● كان محمود — ابن السنوات الخمس — ضيق الصدر بمعلمته فى المدرسة لأنها تغيبت أسبوعين عن المدرسة لمرضها . وفى يوم عودتها خطف حقيبتها وجرى فى فناء المدرسة وتبعته المعلمة والأم . . : قالت له المعلمة :

● هذه حقيبتى ! أعطنى إياها .

وقالت له الأم :

● أنت تعلم جيدا يا محمود أن هذه الحقيبة ليست حقيبتك . إن فيها دو معلمتك . . وإذا لم تعدها فقد تصاب بالبرد مرة أخرى وتتغيب عن المدرسة وأنت بالطبع لا تريد هذا .

إن المشكلة أن مثل هذا الشرح قد يدفع الصغير إلى الشعور بأنه تسبب فى مرض معلمته . إنه شرح طويل ومملّ وضار . كل ما كان مطلوبا فى هذه اللحظة استعادة الحقيبة . وحقيبة فى اليد خير من عشر عبارات فى الفناء لشرح ضرورة إعادتها قد تناقش المعلمة فيما بعد الأمر مع محمود السر فى غيابها وتوضح له كيف يمكن

تقبله حتى لا يصير الغياب مصدر قلق للطفل . لأنه يتصور نفسه متسببا فيه مذنبا أثما ويأتى بعد الشعور بالذنب مصدرًا للقلق – ذلك الخوف الناتج عن أفكار لاستقلال الذاتى للطفل ، واستصغار منزلته ومكانته والسؤال :

● متى يحدث هذا ؟

يحدث هذا عندما يحرم الطفل الاشتراك فى النشاطات ، وتحمل المسئوليات التى ستطيع القيام بها . . ويكون رد الفعل الداخلى لهذا الغضب الذى يدفعه للثأر الانتقام ، وهذا بدوره يولد الشعور بالإثم أو الخوف من العقوبة . . والنتيجة رتقبة هى : القلق وتنصحنا أم مجربة فتقول :

● إن الأطفال الصغار ليسوا قادرين على السيطرة على بعض المهارات مرعة ، هم يستغرقون وقتا طويلا فى عقد رباط حذائهم . أو فك أزرار صانهم ، ولكن مساعدة لهم يمكن أن تقدمها لهم فى هذا المجال هى تعليقات نيفة حول صعوبة ما يقومون به .

● إنه ليس سهلا أن يفك الإنسان عقدة رباط الحذاء ؟

مثل هذه التعليقات تساعد الطفل سواء نجح فى عمله أو فشل : إذا نجح فإن ه العبارة ترضى غروره ، وإذا فشل فإن عبارة كهذه ستكون خير عزاء له ، لأن م – أو الأب – قالت له : إنها مهمة ليست سهلة . . هذا بفضل أن خبرات طفال العاطفية تقود إلى مزيد من الارتباط الودى بالأبوين . ولا يحس الطفل جز إذا لم يحقق النجاح فى أمر ما . . والمهم ألا يسيطر الكبار على حياة الطفل نياجهم « للكفاية » . . (الكفاية) و (القدرة) من أعداء الأطفال . . إنها بهم الكثير عاطفيا . . إنها تسلبهم جهدهم ، وتحول بينهم وبين النمو وقد تقود انهيار عاطفى . . فلنحذر من أن نجعلها مقياسنا لتقدير الطفل ، فهما من أخطر ب إحساسهم العميق بالقلق والخوف ! .

مصادر خوف الأطفال وقلقهم

أكبادنا : يحسون الخوف والقلق بسبب الإحساس بالذنب ، وإنكار استقلالهم الذاتى ومنزلتهم الخاصة من جانب الكبار ، بجانب الخوف من أن يفقدوا حب والديهم وقلقهم من هجرانهما لهم ! يضاف إلى ذلك أن النزاع بين الأبوين يسبب لهم مزيدا من الخوف والقلق : إن بيتهم مهدد ، كما أنهم قد يشعرون بالإثم ؛ لأنهم قد يتصورون أنهم وراء الصراع بينهما وهم – أى الأطفال – لا يبقون محايدين فى الحرب الأهلية بين الأبوين ! وهم أحيانا مع الأب وأحيانا مع الأم .

وهذه اللحظات المذبذبة فى منتهى الخطورة عل كلا الأبوين : نفسيتهم وشخصيتهما . . وقد يرتفع صوت طفلة تقول :

– أنا مع ماما !

ويعلو صريخ طفل قائلا :

– أنا مع بابا !

عندئذ قد ينمو الصغير وهو معاد لكل من ليس من جنسه ، وإذا رفضت الابنة أمها ورفض الابن أباه نما كل منهما دون أن يكون لديه مثل أعلى يحتذيه . وخلال الصراعات الأسرية يستخدم الآباء كلمات غير تربوية مثل : الغش والكذب ، والخداع ! ولنا أن نتصور مدى تأثر الصغار بهذه الكلمات ، فضلا ء ازدواجية ولائهم ! ولا شك أن حماية أحد الأبوين من الآخر وصراعها معا – لا أن يترك بصمة على شخصية الطفل ، بل قد يستقبل الصغير هذه الصراعات وهو ويتجسس ، ويعيش فى عالم تسوده التمزقات . .

وهذا القلق الناجم عن المشاكل الأسرية موضوع قد يطول فيه الحديث ، ويحتاج إلى وقفة أخرى . . كل ما هنالك أن الإشارة إليه هنا ضرورة خلال دراسة سريعة لمصادر القلق . وينجم بعضه من القيود المفروضة على حركة الطفل .

— احذرى الأثاث . لا تقفزى على المقعد .

— كف عن الجرى داخل الشقة .

إن بيوتنا الحديثة ضيقة ، وهى تمزق الصغار لأنها تحد من حركتهم ونشاطهم الضخم لضيق المساحة ، فالخوف على الأثاث وتكديسه يحول بين الصغار والجرى والتسلق والقفز . . وتبدأ التعليمات حول هذا الأمر من سن مبكرة : فمرفوض أن يقف الصغير فى عربته ، ومرفوض أن يقفز فى مهده ، وغير مقبول أن يتسلق لدرج ، أو يجرى فى الغرف الأمر الذى يضايقهم ويسبب لهم التوتر الذى يخلق لقلق ! والحل يكمن فى وصف المشكلة ذاتها : الأطفال فى حاجة للانطلاق ، هم ، حاجة إلى مساحة ومكان ، إلى فناء وحديقة ؛ لتستوعب نشاطهم وحيويتهم فائقة ! وسؤال :

« هل من مصادر أخرى لقلق الأطفال ، فقد يمكن التفادى منها ؟

كثيرة لا تحصى مصادر قلق أكبادنا : إنهم مثلا يقلقون من انتهاء حياتهم ، لنسبة للكبار تكمن مأساة الموت فى أنه النهاية الأبدية والأخيرة لكل الآمال ، وهو . لا يمكن التفادى منه فلا أحد يتصور كيف ومتى يأتيه الموت ؟ والنفس الإنسانية يج من الذاكرة والآمال : ما من مستقبل ، والإنسان لا يستطيع أن يرى نفسه مستقبل . وهذا ما يجعله يواصل الحياة . . وإذا كان الموت لغزا بالنسبة للكبار سر ملفوف فى ضباب بالنسبة للصغار ! إنهم لا يستوعبون أنه أبدى ، إنه يشعر جز وعدم القدرة على التأثير فى الأحداث . . برغم الدموع والبكاء لا يعود صفور الذى انتهت حياته . . إنه يشعر أن عصفوره هجره ويتصور أنه لوكان

يحبه لبقى معه - وهناك سؤال قد يوجهه كثير من الأطفال :

- بعد موتك يا أبى هل ستظل تحبنى ؟

ويحاول بعض الآباء أن يحموا أطفالهم من تجربة الحزن الشديد على من يفقدونه . إن الأب يستبدل بسرعة بالسمكة الميتة فى الحوض أخرى . وبالعصفور فى القفص آخر ! وقد لا يلاحظ الطفل الفرق . . وهناك سؤال :

* ماذا يتعلم الطفل من هذه الدروس الحزينة المبكرة ؟

قد يرى فقد عصفوره أمر عرضى ، لأن حبه يتحول للعصفور الجديد . لكن يجب ألا نسلب الصغير حقه فى أن يشعر بالأسى والحزن ! إن ذلك يعمق إنسانيته ويبلور شخصيته بشرط ألا يتمادى وبشرط أن يقبل من الآخرين مشاطرته الأحزان واقتسامها معه ، كما يحدث فى الفرح والبهجة ! وعندما يقع حادث وفاة فى الأسرة ، ولا يبلغ ذلك علم الطفل - قد يحس بقلق لا يدرى سره ! وقد يملأ ذلك الفراغ الحادث بخيالات مريضة مخيفة مضطربة . ويحس أنه منفصل لا عن الميت فحسب ، بل منفصل عن الأحياء أيضا ! إن الخطوة الأولى فى مساعدة الطفل على مواجهة خسارته بفقد عزيز عليه أن نسمح له بالتعبير عن أحزانه بالبكا والدموع ، إن مشاعره يجب أن تفرغ من صدره . ويبدأ دورنا فى تقديم العزا والسلوى للأطفال بمشاركتهم فى مشاعرهم هذه بأذن مصغية . . بل نفضل أ يضع الآباء على ألسنتهم بعض ما يدركونه من مشاعر الصغار . ولا يجد هؤلا وسيلة للتعبير عنها : ومثلا لو أن الجدة ذهبت للقاء ربها والطفل كان مرتبطا ولصي بها قد يكون من المفيد أن يتبادل الأبوان عبارات كهذه :

- إنك تفتقد جدتك . .

- واضح أنك حزين لفقدها .

- لقد كنت تحبها كثيرا وكانت تحبك .

– كنت تتمنى أن تكون دائما معك .

– كنت تود لو امتدت بها الحياة .

– إنه لمن الصعب فعلا أن نصدق أنها رحلت .

– إنه شاق أن نتصور أنها لم تعد معنا .

– إنك سوف تذكرها دائما . . بالخير !

مثل هذه العبارات تؤكد مشاركة الأبوين للطفل فى مشاعره وأفكاره تشجيعه على أن يقتسما والطفل مخاوفه وخيالاته ! قد يرغب الصغير فى أن عرف : هل الرحيل يؤلم الراحل ؟ وهل سيبعث يوما ما ؟ وهل هو أو أبواه – من ممكن أن يتركوا هذه الدنيا ؟ الإجابات يجب أن تكون قصيرة وصادقة . . إن احل لا يتألم إنه لا يحس لأنه كالنائم ، وهو لا يعود إلا فى الحياة الأخرى ، من طبيعى أن يرحل الإنسان ، لو دامت الحياة لغيرك ما وصلت إليك ! وعندما قيل فلة فى الرابعة – إن جدها ذهب لينام نومته الأخيرة ، سألت :

● هل أخذ بيجامته وملابس نومه معه ؟

كما أن الصغيرة تساءلت :

أرجو ألا يكون جدى غاضبا لأنى لم أقل له (تصبح على خير) قبل أن ينام !

دما نقول لصغير عمره خمس سنوات – إن جدته قد صعدت روحها للسماء بحت كالملائكة دعا ربه قائلا :

أرجو يا رب أن تأخذ إليك فى السماء كل أسرة ، وتحولهم إلى ملائكة . . !

ما يعطى الصغير الحقائق ببساطة وصدق ، مع مشاعر حقيقية ونظرة حب – ح أكثر ثقة فى الحياة وفى نفسه . . وهذا الفهم يجعل الأطفال وآباءهم أكثر على استيعاب حقائق الحياة والموت . . وفى كل المسائل الهامة تتحدث هات بصوت أعلى مما تتحدث الكلمات .

« موسيقى .

وهكذا صحبناكم وأكبادنا فى رحلة امتدت طويلا نرى خلالها أننا حاولنا أن نقدم دليل الآباء الأذكياء لبناء الأبناء ، نرجو أن يكون دليل خير لعملكم وحياتكم وتربيتكم لهذه الأجيال الجديدة التى نود لها حياة أجمل من حياتنا وأسعد ! .

الفهرس

صفحة

كبادنا ٥
لمدخل إلى الطفل ١١
لحوار مع الطفل ١٦
فن إدارة الحوار ٢١
تداح الطفل ٢٦
جيه النقد للطفل ٣١
لفل وغضب الآباء ٣٦
لفل بين الترغيب والتهديد ٤٠
فل والكذب ٤٥
ذيب بطريقة مهذبة ٥٠
المسئولية ٥٤
، تكسب طفلك ؟ ٦٠
ور بالمسئولية ٦٤
بات المدرسية ٧٠
الاستذكار ٧٤
لطفل والموسيقى ٧٨

صفحة

مصروف الجيب ٨٢
اختيار الأصدقاء ٨٦
الاعتماد على النفس ٩٠
النظام والانضباط ٩٤
الأطفال والطاعة ٩٩
القرارات الحاسمة ١٠٤
نشاط الأطفال ١٠٩
الثقة بالصغير وقدرته ١١٣
موقفنا من معركة ارتداء الملابس ١١٧
اليوم المدرسي ١٢٢
غيرة الأطفال ١٢٧
مظاهر الغيرة ١٣١
الخوف والقلق عند الأطفال ١٣٧
مصادر خوف الأطفال وقلقهم ..... ١٤٢.

رقم الإيداع	١٩٨٠/١٦٢٥
الترقيم الدولي	ISBN ٩٧٧-٢٤٧-٩١١-٧

١/٨٠/٣٧

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)

٤٠٥٠٨٢/٠١